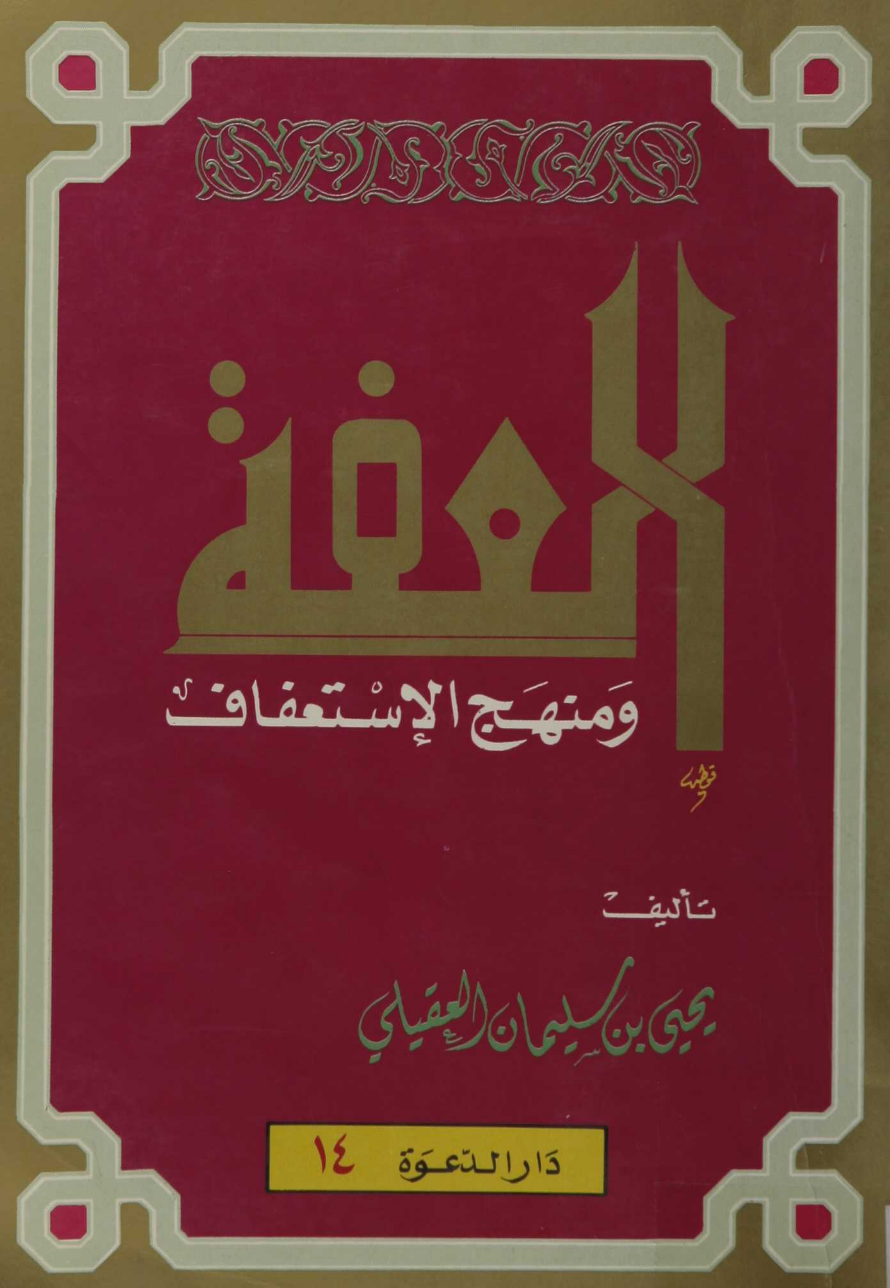

العفة
ومنهج الإستعفاف
تأليف
يحيى بن سليمان العقيلي
دار الدعوة ١٤

العفــة و
منهـج الاستعفـاف

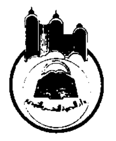


العفة
و
منهج الاستعفاف

يحيى سليمان العقيلي

دار الدعوة -١٤-
الكويت

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م



دار الدعوة للنشر والتوزيع
ص.ب: ٦٦٥٢٠ بيان
ت : ٢٦١٥٠٤٥
الرمز البريدي 43756
الكويت

إهـــداء....

.. إلى المجتمع الذي ينشد الفضيلة والأمن

.... إلى الأسرة التي تسعى لرعاية أبناءها وتربيتهم

...... إلى المسلم الذي ينشد طريق الاستقامة

وإلى الشباب خاصة....

نهدي هذه الموعظة... وهذا المنهج.

مقدمة الطبعة الأولى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها، قال فرجع إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها. فحفت بالمكاره. فقال: ارجع إليها. فرجع فقال: وعزتك لقد خفت ألّا يدخلها أحد. قال: اذهب إلى النار فانظر إليها. فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفت بالشهوات. فقال: ارجع إليها. فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد[1]».

نعم.. فإن جنة الله غالية لا تنال إلا بإكراه النفس، وإصلاحها واستقامتها على منهج الله سبحانه وتعالى.

وإن نصر الله عز وجل لا يتنزل إلا على نفوس طاهرة وقلوب نقية وأرواح سامية وأبدان شغلت بطاعته وعقول خضعت لعبوديته...

وهذه كلها لا تكون إلا بالاستقامة.. والاستقامة لا تكون إلا بالمجاهدة. فعلى دعاة الإسلام أن ينشطوا لهذا كما ينشطون لغيره وليعلموا أنهم بهذا ينالون شرف الطاعة وعز العبودية لله عز وجل.

فليقبلوا على أنفسهم فليطهروها وعلى قلوبهم فليحيوها وعلى أرواحهم فليزكوها وعلى أبدانهم فليشغلوها بطاعة الله وعلى عقولهم فليقوّها من مصارع الشهوة. ثم ليرتقبوا بعد ذلك نصر الله في الدنيا ومجاورة رسوله ﷺ وصحبه الأخيار الأبرار في الآخرة.

وهذا البحث يتناول ملامح لمنهج الاستعفاف والعفة، وذلك لأن شهوة الفرج هي أكثر الشهوات إهلاكاً للشباب وإشغالاً لأذهانهم ولعل أغلب دعاة الإسلام من الشباب لذا قد يجد الكثير منهم أن صون نفسه في هذا المجتمع المليء بالفتن، المسعور بالشهوات

---

(١) رواه أحمد والحاكم - وأبوداود (٤٧٤٤) والترمذي (٢٥٦٣) والنسّائي وصححه الألباني (ص.ج. ص ٥٠٨٦).

يحتاج إلى منهج واضح يسير عليه ويقوم به على نفسه وشهوته. . . لهذا كله نقدم هذا البحث لعل الله يهدي به من قويت عزيمته وصحت توبته واشتاقت نفسه للجنَّة وهابت من النار.

«ربنا آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها».

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على عبده ورسوله وبعد،

فلله الحمد والمنّة أن تُلقي هذا الكتاب بطبعته الأولى بالقبول، فما كادت تمضي الشهور القليلة على صدوره حتى بوشر بالطبعة الثانية في دولة الإمارات العربية من قبل مدرسة الراشدية. . . وما ذلك إلا دليلاً واضحاً على أهمية هذا الخلق السامي «العفة» وحاجة الشباب إلى المنهج العملي الصحيح للاستعفاف والمستهدي بهدي الله ورسوله.

إن خطورة الإنحـراف الأخـلاقي تكمن في أنه يخاطب جانباً خطيراً في النفس البشرية وهو الغريزة، مما يجعل قابلية السقوط في مهاويه واردة بشكل كبير لمن لم يعتصم بتقـوى الله ونهج رسـولـه ﷺ، كما أن مسببات هذا الإنحراف ودواعيه آخذة بالتعدد والتّنوع والانتشار. . لذا كان لزاماً علينا أن نسلط الضوء على موضوع «العفة ومنهج الاستعفاف» بشكل أوسع، فجاءت هذه الطبعة والتي تم فيها إضافة موضوعات هامة أخرى للكتاب كذكر أسباب الإنحراف ومعوقات الاستعفاف، والتطرق لبعض مظاهر الانهزام أمام النفس كالعشق والاستمناء. . . إضافة للتوسع في تناول منهج الاستعفاف وذكـر وسـائله بصورة أكثر شمولية لتلقى بالمسؤولية على الحكومات والمجتمع والأسرة ثم . . . الفرد.

فجاءت هذه الطبعة وتكاد أن تكون كتاباً آخراً للإضافات السابقة.

وختاماً أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين. . وأن يجعل به الذكرى للمؤمنين بكافة مواقعهم أفراداً ومسؤولين. اللهم آمـــين.

والحمد لله رب العالمين

جمادى الأول ١٤٠٨هـ

ديسمبر ١٩٨٨م

رسالة:

هذه رسالة تحكي عما يجول بنفس صاحبها بصراحة وصدق قد لا يجرؤ عليها معظم الشباب ولكن إرادة الخير وحب الاستقامة والعزيمة على بقاء النفس طاهرة عفيفة دفعته لكتابتها وهي كأنها تحكي عن نفوس كثير من الشباب.

«أخي في الله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أكتب إليك رسالتي بعد أن ترددت في كتابتها، ولكني عزمت على أن أطرد وساوس الشيطان ونوازع نفسي الأمّارة بالسوء.

وهو أمر كثيراً ما كان يجول في خاطري وفي نفسي ويسبب لي أحياناً الهم والتفكير الكثير، مما يشغلني كثيراً عن طاعة الله والعمل مع إخواني في سبيل الله، كلما خلوت مع نفسي وبقيت وحيداً هجم عليَّ هجوم الوحش الكاسر لا ينفك عني إلا إذا قمت للصلاة...

تلك هي الشهوة والغريزة التي تأتي لكل إنسان شاب مراهق، وقد صرعت الكثير منهم... وإني والله لخائف على نفسي أن تصرعها هذه الشهوة وأستحلفك بالله يا أخي أن تنقذني منها، وها أنا أمد إليك يدي فلا تتركني وحيداً فإني بأمسّ الحاجة إلى عونك لتعينني على نفسي.

وإننا والله نقبض على ديننا كأننا نقبض على الجمر، إذا ذهبت في السيارة نظرت يميناً فإذا أنا بامرأة متبرجة متزينة، وأدخل البيت وأجلس مع أهلي وإذا بفيلم فاضح يعرض صوراً عارية على شاشة التلفزيون، أجلس في داري وأقرأ الجرائد وإذا ببصري يقع على ما يثير النفوس ويهيج الشهوات... أقرأ المجلات وإذا بالقصص والأخبار المثيرة تثير كوامن النفس الأمّارة.

بالله عليك.. كيف أصون نفسي وكيف أستطيع أن أستقيم ولا أنحرف وإني أرى الشباب من حولي قد غرقوا وهلكوا وأسمع من أحاديثهم ما يجعلني أعيش في صراع مع نفسي.

وإني أخشى إن طال بي الأمر أن أهلك كما هلكوا . . فأعنّي أعانك الله ودلني على طريق أعف به نفسي ولك من الله الأجر والثواب».

أخوك . . .

لهذا الأخ ولأمثاله من الشباب الطاهر الذي يتطلع إلى حياة إسلامية عفيفة ترضي الرب جل وعلا، أتقدم بهذا البحث والذي أبدأه ببيان خطورة انحراف الغريزة وآثار ذلك الانحراف وموقف الإسلام من هذه الغريزة، ثم لابد لنا من معرفة مكمن هذا الانحراف وهو النفس البشرية فنتعرف على أقسامها وبعضاً من مظاهر الإنهزام أمامها كالعشق وعادةالاستمناء وحكم الإسلام فيها.

وفي البـاب الثاني نستعرض أسباب الانحراف الخلقي والتي هي في واقع الأمر معوقات للإستعفاف. ثم نبدأ في الباب الثالث بالحديث عن العفة وثمرات الاستعفاف ونماذج من القديم والحديث لمن ضربوا المثل في الاستعفاف، وأخيراً نستعرض منهج الاستعفاف بقواعده الإرشادية التربوية وقواعده الوقائية.

الباب الأول: الاسلام والغريزة الجنسية

الفصل الأول: الغريزة الجنسية وخطورة انحرافها

- الأثر الانساني
- الأثر الايماني
- الآثار الحضارية
- الآثار الاجتماعية والسلوكية
- الآثار النفسية
- الآثار المرضية



الغريزة الجنسية وخطورة انحرافها:

أولا: الأثر الانساني:

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم وأكرمه سبحانه وسواه فعدله، وأودع فيه من الغرائز والنوازع والعقل والروح ما فضله على كثير من خلقه فكان وسطاً بين الملائكية والبهيمية، بين العقل التام والسمو الروحي وبين الشهوانية الحيوانية.

وهو - أي الإنسان - بما فيه من تلك الغرائز مفضل على كثير من خلق الله وهو مع هذه الشهوات المفطور عليها سماه الله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ - التين ٤ - بل ويستطيع أن يسمو إلى منزلة الملائكة بسموه العقلي والروحي، وأن ينحط إلى البهيمية بانغماسه بشهواته.

إذاً.. وجود هذه الغرائز والشهوات بذاتها ليست عيباً ولا انقاصاً من قدر الإنسان لأنه مكرم بما فيه من تلك الغرائز.

(ولكن عند الانحراف ينحط الإنسان إلى الحيوانية بل إلى ما هو أحط منها، فمنذ تلك اللحظة التي يقطع بها الإنسان صلته بالله تعالى يغدو حيواناً يعيش بغرائزه ولها، ويحيا لنزواته وبها... تتعطل فيه نوازع الخير وتستيقظ لديه نوازع الشر وتصبح الشهوات أكبر همه والدنيا مبلغ علمه ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾- الفرقان ٤٤-)[1].

فهذه أولى مخاطر انحراف الغريزة الجنسية، أن يفقد الإنسان إنسانيته، ويُخلعُ من لقبه «بني آدم»، ويسلب منه تكريمه السابق، وينحط من «أحسن تقويم» إلى «أضل سبيلاً» وذلك هو الخسران المبين.

(فالإنسان المكون من النوازع المادية والروحية والمتطلبات البدنية والنفسية لا يمكن أن ينعم بالراحة والاطمئنان ما لم يحقق إشباع حاجاته الفطرية كلها.

وإن الاتجاهات المادية قد فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق الطمأنينة والاستقرار للإنسان. وإن غيبة الفكر الديني عن دنيا الناس وتعطيل حاكمية الله في الأرض وهيمنة التشريعات والنظم والقوانين المنبثقة عن النظريات المادية كانت الأساس في انحراف سير

---

(١) الإسلام والجنس. فتحي يكن.

القافلة البشرية عن الطريق القويم وانطلاقها في متاهات الضياع والشرور)[1]

ثانيا: الأثر الايماني:

وثاني هذه الآثار وهو أخطرها وذلك بأن يسلب من المؤمن إيمانه فيرفع من قلبه عندما ينحرف وتستعبده شهوته ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[2].

وأي شر يمكن أن يصيب المؤمن أشد من رفع الإيمان من قلبه قال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» ـ رواه مسلم ـ وفي الحديث الآخر الذي ذكر أن إيمان الزاني يرفع فوقه كأنه ظلة، أعاذنا الله من سلب الايمان ونزغات الشيطان..

ولعل في ثنايا البحث ما يوضح هذه النقطة الهامة في الموضوع بشكل أكثر تفصيلاً.

ثالثا: الآثار الحضارية:

حيث الضياع والقلق والدمار الذي سيصيب الفرد ومن ثم المجتمع إذا شاعت فيه الفاحشة كما ورد في الحديث «**وما تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمّهم الله بالبلاء**»[3](إن الفوضى الجنسية التي امتازت بها كثير من المجتمعات المتحضرة حالياً والتي يسمونها بالمجتمعات التقدمية قد جردت النفس البشرية من كل خلق وفضيلة وجعلت من الإنسان حيواناً بهيمياً أغلب تفكيره في الشهوة والغريزة واللذة وإروائها عن أي طريق كان وبأي وسيلة كانت)[4]. ولذا فقد تردى هو في تلك الفوضى الجنسية إلى ممارسات جنسية تنفر منها البهائم التي لا عقل لها بل شهوة مطلقة، ومن هنا ندرك إلى أي مستوىً من الانحطاط البهيمي بلغه أولئك.

لذلك فإن بقاء الأمة ودوام حضارتها إنما يرجع إلى قيمها وأخلاقها، ومهما بلغت من الرقي المادي والعلمي فإن ذلك لا يكفي وحده لقيام حضارة إنسانية وكما قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن الشواهد التاريخية على هذه الحقيقة انهيار حضارتي الرومان واليونان حيث

---

(١) الإسلام والجنس.

(٢) الفرقان ٤٣

(٣) الأحاديث الصحيحة (حديث رقم ١٠٦)

(٤) الإسلام والجنس.

يقـول الـدكتور السباعي رحمه الله حول هذا الموضوع «من المعلوم تاريخياً أن من أكبر أسباب انهيار الحضارة اليونانية تبرج المرأة ومخالطتها للرجال ومبالغتها في الزينة والاختلاط ومثـل ذلـك حصل تماماً للرومانيين فقد كانت المرأة في أول حضارتهم مصونة محتشمة فاستـطاعوا أن يفتحوا الفتوح ويوحدوا أركان امبراطوريتهم العظيمة فلما تبرجتْ المرأة وأصبحت ترتاد المنتديات والمجالات العامة وهي في أتم زينة وأبهى حلة فسدت أخلاق الرجال وضعفت ملكتهم الحربية وانهارت حضارتهم انهياراً سريعاً»[1]».

ولعـل من أوضـح الشواهد في عصرنا الحاضر على الخطر الحضاري لانحراف الغريزة الجنسية هو ذلك التراجع بل الانحطاط الذي أصاب الحضارة الغربية والتي أخذ الانحـلال الخلقي يجرهـا من قمم الـرقي المـادي والعلمي إلى قاع الانهيار الإنســاني وحضيض الانحـلال الأخـلاقي؟ . . . لذا فقـد تعـالت صيحـات الخطر من بعض المفكرين الغربيين.

فمن ألمانيا أعلن «إسوالد شينفلر» أن الجنس البشري مقبل على الفناء في وقت قريب وأن تدهور الحضارة الغربية سيجر معه حتماً تدهور الحضارة الإنسانية ما لم يشهد العالم ولادة حضارة جديدة»[2].

(وكتب جيمس رستون في النيويورك تايمز «إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون في نهاية الأمر أكبر من خطر الطاقة الذرية».

وفي نيسان سنة ١٩٦٤ أثيرت في السويد ضجة كبرى عندما وجه ١٤٠ من الأطباء المـرمـوقين فيه مذكرة إلى الملك والبرلمان يطلبون فيها اتخاذ إجراءات عاجلة للحد من الفـوضى الجنسية التي تهدّد حقـاً حيوية الأمة وصحتها، وطالب الأطباء بقوانين ضد الانحلال الجنسي.

وفي سنة ١٩٦٢ صرح «كينيدي» بأن مستقبل أميركا في خطر لأن شبابها ضائع منحل غارق في الشهوات لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين لأن الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية.

---

(١) (٢) «الشباب المسلم والحضارة الغربية». حسن حسن سليمان.

ويقـول جورج بالوش في كتابه الثورة الجنسية: «إن أطناناً من القنابل الجنسية تتفجر كل يوم ويترتب عليها آثارٌ تدعو إلى القلق قد لا تجعل أطفالنا وحوشاً أخلاقية فحسب بل قد تشوه مجتمعات بأسرها».

رابعاً: الآثار الاجتماعية والسلوكية:

وذلـك أن الانحرافات الجنسية لا تقتصر آثارها على الفرد بل تتجاوز ذلك إلى المجتمع عبر متواليات ابتداءً من تأثر الزوجة بالانفصال فالأولاد بالضياع ثم الأسرة ككل بالتفكك ثم تأثير الشركاء (ذكوراً كانوا أم إناثاً) المنحرفين وأثرهم في تعدي الضرر إلى الأصحاب والأخلاء والأصدقاء فضياع المجتمع بأسره وتفكك أواصره، وضياع القيم والأخلاق والعفاف وفقدان الثقة وشيوع الجرائم والاعتداءات، لذا فإن عقوبات الجرائم الجنسية في الشريعة الاسلامية هي من أشد العقوبات وذلك لتعدي أضرارها وآثارها على المجتمع، وهناك عدة صور لتلك الآثار الاجتماعية والسلوكية لانحراف الغريزة الجنسية.

- فمن تلك الصور: ظهور العادات السيئة في تصريف هذه الشهوة كاللواط والسحاق وهـو اكتفـاء الـرجـال بالـرجال والنساء بالنساء والعادة السرية والزنى وغيرها من مهلكات تهلك الحرث والنسل وتصرع الإنسان صرعاً.

- ومن تلك الصور: مرض النضج الجنسي المبكر الذي ذاقت ويلاته أوروبا حيث كتب أحد قضاة أوروبا يقول: «إن الصبية في أميركا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان ومن السن المبكرة جداً يشتد فيهم الشعور الجنسي»[١]. وجاء في تقرير طبيب في مدينة «بالتي مور» أنه رفع إلى المحاكم في تلك المدينة أكثر من ألف مرافعة في مدة سنة كلها في ارتكاب الفاحشة مع صبايا دون الثانية عشرة من العمر. بل أصبح من المألوف وجود علاقات جنسية بين أولاد وبنات في سن السابعة والثامنة[٢].

ويكفي ذلك رداً على من يدعي بأن العفاف كبت يعود بالضرر على فاعله.

- ومن تلك الصـور: الإنصراف عن الـزواج الشرعي، فقـد نشرت جريدة القبس

---

(١) (٢) كتاب الحجاب للمودودي رحمه الله.

الكويتية في العدد المؤرخ في ٨ / ٤ / ١٩٨٥ بعنوان «تدهور خلقي في بريطانيا» («ليس إثماً أن تعيش في الخطيئة» هذا ما يقوله ٩٠٪ من الشباب تحت ٣٠ عاماً في دراسة جرت حول الاتجاهات الأخلاقية في بريطانيا، وتبين من هذه الدراسة التي أجريت بناءً على طلب مقدم البرنامج الديني في التلفزيون البريطاني أن ٧٪ فقط اعتقدوا أنه من الخطأ أن تعيش الفتاة والشاب معاً دون وثيقة زواج، وأيد ٩٠٪ من الذين شملتهم الدراسة قيام علاقة جنسية بين الخطيب والخطيبة قبل الزواج).

● بل إن قيم الحياة الزوجية وأسس استقرارها قد تهدمت وتصدعت، فالأخلاق الزوجية التي يتبادلها الزوجان لبعضهما البعض من الرحمة والمودة والعفاف قد أصبحت من غرائب المجتمع المنحل، ففي نفس العدد من الصحيفة تحت عنوان «٣٪ فقط عفيفات»: ما أن تصل المرأة الأميركية العادية إلى سن الخمسين من العمر إلا وتكون قد مرت بأكثر من عشر علاقات غرامية هذا ما تقوله إحدى الدراسات التي أجريت مؤخراً وتقول الدراسة أن ٧٪ من النساء الأميركيات أقمن علاقة غرامية مع ٥٠ عاشقاً أو يزيد طيلة حياتهن ومع ذلك فإن بعض الفتيات لم يمارسن إطلاقاً «الحب الحقيقي» من أي نوع وإن ٣٪ بقين عفيفات طوال حياتهن... !!).

بل إن اشتراط عفاف المخطوبة للزواج واشتراط بكارتها قد أصبحت من القيم الرجعية، يقول الأستاذ المودودي رحمه الله: «لم يقف الأمر عند المدن الكبيرة فحسب بل أصبح الشبان في القرى والأرياف أيضاً يعترفون بأنه ليس لأحدهم حق في توخي العفة والبكارة في مخطوبته»[1].

● ومن تلك الصور: ظهور الممارسات اللاأخلاقية الجماعية والتي تعتبر من أكبر الوسائل لترويج الفساد والأخلاق وانجراف الكثير من فئات المجتمع إلى أوحاله من خلالها كالحفلات الراقصة الماجنة التي يمكن لكل شاب أن يراقص أي فتاة أو امرأة ويختلط فيها الحابل بالنابل خصوصاً تلك التي تقام في مناسبات رأس السنة الميلادية، وحسناً ما تفعله بعض الحكومات الإسلامية لمنع إقامة مثل هذه الحفلات والتي هي وصمة

---

(١) الحجاب. للمودودي رحمه الله.

عار وشؤم في جبين المجتمع المسلم. ومنها دور السينما المخصصة للأفلام الخليعة الماجنة، ومنها الشواطىء والنوادي المخصصة للعراة.

- ومنها الظاهرة الغريبة جداً على المجتمعات الإنسانية، وهي الاعتداء الجنسي على الأطفال، حيث تقول «الريدرزوايجيست» «أن هناك مليون حالة من الاعتداء على الأطفال جنسياً في كل عام في الولايات المتحدة الأميركية» والأدهى من ذلك والأمرّ هو إنشاء جمعيات متخصصة في هذا المجال الخطير مثل جمعية (رين جيون) التي ترفع شعار «الجنس في الثامنة قبل فوات الأوان». يقول المودودي رحمه الله: «لم يعد الأمر الغريب الشاذ وجود العلاقات الجنسية من الأقارب في النسب كالأب والبنت والأخ والأخت»[1].

وأصبح الشذوذ الجنسي أمراً مشروعاً في انجلترا[2].

وجاء في تقرير للمجلس الأوروبي في لشبونة أن عدد الأطفال الذين يخطفون سنوياً في العالم ويباعون أو يجبرون على دخول سوق الدعارة قد بلغ مليون طفل: !!![3].

- ومنها ضياع الأمن على الأعراض وانتشار الجرائم الأخلاقية، ذلك أن الذي يهتك ستره مع الله لن يبالي بأعراض الآخرين وسمعتهم، بل وفي سبيل شهوته لن يتردد في الاعتداء والضرب والاغتصاب. ومن دلائل ذلك أن المرأة في الغرب أصبحت لا تأمن على نفسها خصوصاً في بعض المدن وفي الأوقات المتأخرة ليلاً، ففي أسبانيا تكونت أول فرقة بوليسية من النساء فقط وذلك لمساعدة السيدات اللاتي يتعرضن لمحاولات الاغتصاب، حيث تم الإبلاغ عن ١٦,٥٠٠ جريمة ضد النساء في العام الماضي فقط[4].

كما أن ثلاثة أرباع نساء ألمانيا يشعرن بالخوف خارج المنزل، وفي المدن الكبيرة تصل النسبة إلى ٨٥٪[5].

---

(١) الأمراض الجنسية. د. محمد علي البار

(٢) الزنا ـ دندل جبر

(٣) جريدة القبس ١٩٨٦/٦/٢٣

(٤) جريدة الأنباء ١٩٨٨/٦/٢١

(٥) رسالة إلى حواء ـ محمد رشيد العويد

ولذا فقد انتشرت جرائم الاغتصاب في الدول الغربية انتشاراً ذريعاً، ويرجع ذلك إلى أن (معظم جرائم الاغتصاب للمرأة الضحية صلة بها، إذ أنها تكون جميلة ولا تتحشم، ومغرية ولا تتورع، بيد أنها تسير بمفردها وتبتعد كثيراً عن مناطق السلامة للنساء فتصبح موضع إثارة للجاني وعامل إغراء له لذلك كثيراً ما نسمع في مجالس القضاء ما يقوله الجناة دفاعاً عن أنفسهم: «إنها كانت مغرية. . !!».

والبلد الذي استفحل فيه أمر الجريمة (خاصة الاغتصاب)، الولايات المتحدة، حيث بلغت جرائم الاغتصاب أن تكون بمعدل كل سبع دقائق أي بمعدل (١٠٣) جريمة في اليوم. . و (٧٥٠٨٦) جريمة في العام. وبلغ عدد الحوامل من المراهقات سفاحاً خمسة ملايين وخمسمائة فتاة من مجموع أربعة عشر مليون فتاة. وستلد هؤلاء الحوامل ما يعادل ١٥٪ من مجموع أطفال أميركا. وماذاك بغريب في بلد يحدث فيه الاغتصاب أكثر من حدوث الخير فيه. ولهذا أسست مؤسسة خاصة لرعاية مثل هؤلاء الفتيات صغيرات السن وضحايا الاغتصاب وهي مؤسسة (أدنا جلادني) بفورت وورث بولاية تكساس. . وهذه المؤسسة كل تلميذاتها حوامل. ولكل واحدة منهن اسم مستعار لأنه ممنوع بتلك المدرسة الكشف عن أي حقيقة تخص التلميذة وهويتها. حتى بين زميلاتها. وفي كل ركن من المؤسسة توجد ملصقات مكتوب عليها «ممنوع شرب الخمر، وممنوع تعاطي المخدرات وممنوع لقاء الشبان. .» ونحو ذلك)[1].

. . . لذا فقد أصبحت ظاهرة المراهقات الحوامل من الظواهر التي تنذر بانحطاط وتراجع الأمم الغربية، ولعل الجدول التالي يوضح حجم هذه المشكلة في بعض دول الغرب[2].

---

(١) (٢) لماذا يرفض الإنسان شريعة الله. . يوسف موسى.

جدول (١)

الدولة	النسبة	البيان
الولايات المتحدة	٩,٥٪	من مجموع المراهقات حوامل بالسفاح
	٤١٪	من هؤلاء الحوامل انتهى حملهن بالإجهاض
بريطانيا	٤,٥٪	من مجموع المراهقات حوامل بالسفاح
	١٥٪	من هؤلاء الحوامل انتهى حملهن بالإجهاض
كندا	٤,٥٪	من مجموع المراهقات حوامل بالسفاح
	٢٨٪	من هؤلاء الحوامل انتهى حملهن بالإجهاض
فرنسا	٤,٥٪	من مجموع المراهقات حوامل بالسفاح
	٢٩٪	من هؤلاء الحوامل انتهى حملهن بالإجهاض
السويد	٣,٥٪	من مجموع المراهقات حوامل بالسفاح وتعود القلّة لانتشار موانع الحمل
	٢١٪	من هؤلاء الحوامل انتهى حملهن بالإجهاض
جزيرة نذر لاند	١,٥	من مجموع المراهقات حوامل بالسفاح
	٥٪	من هؤلاء الحوامل انتهى حملهن بالإجهاض

● ومنها تداول الأشرطة الخلاعية المرئية منها والمسموعة. وانتشار دور البغاء واحترافها كمهنة لكل خليع وداعر وداعرة. ولاشك أن هذه الممارسات ذات آثار اجتماعية سيئة حيث يتحول من خلالها الفساد إلى إفساد ويصبح الفاسد بذاته فيها مفسداً لغيره وبذلك تتسع أعداد ضحايا هذه الوسائل بشكل مريع ومطرد.

ومن هنا ندرك تلك الحكمة الربانية في التوعد لمن يريد إشاعة الفواحش في المجتمع ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ . . .﴾ ـ النور ١٩ ـ وقال رسول الله ﷺ: «. . . **ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**» ـ رواه مسلم ـ ولنا

أن نتصور ذلك المجتمع الذي يتحول فيه أفراده إلى دعاة للاضلال وتصبح منتدياته الاجتماعية والترفيهية مقراً للإفساد والمجون ويسير فيه المفسد رافع الرأس عالي الشأن . . !

● ومن الآثار الاجتماعية الخطيرة انتشار ظاهرة أولاد الزنا فقد بلغت نسبة المواليد غير الشرعيين في السويد في عام ١٩٧٢ واحد من كل أربعة مواليد وفي فرنسا بلغت نسبة الأولاد الطبيعيين في كثير من المدن بين الحربين العالميتين ما يقرب من ٥٠٪ من مجموع المواليد هناك[١] .

● ومن الآثار الاجتماعية كذلك انهيار الحياة العائلية وبنيان الأسرة فقد أكد القرآن الكريم أن الأسرة لا يمكن قيامها ولا بقاؤها إلا في ظلال العفة واجتناب الرذائل والفواحش قال تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ ـ الأنعام ١٥١ ـ يقول سيد قطب رحمه الله في تفسير هذه الآية : «إنها رابطة الأسرة بأجيالها المتلاحقة فأوصى الأبناء بالآباء وأوصى الآباء بالأبناء ، وكما وصّاهم بالأسرة وصّاهم بالقاعدة التي تقوم عليها فنهاهم عن الفواحش ظاهرها وخافيها . . . فهو نهي مرتبط تماماً بالوصية السابقة عليها إنه لا يمكن قيام أسرة ولا استقامة مجتمع في وحل الفواحش والذين يحبون أن تشيع الفاحشة هم الذين يحبون أن تتزعزع قوائم الأسرة وأن ينهار المجتمع»[٢] . وحتى تتجلى لنا دلائل هذه الحقيقة سنستعرض بعض المؤشرات الاجتماعية للمجتمعات الغربية وفق إحصائيات كتاب «انخفاض عدد السكان في أوروبا» :[٣]

١ ـ اتضح أن نسبة المقبلين على الزواج في الدول الأوروبية منخفضة للغاية وصل في بعضها إلى أن عدد المقبلين على الزواج من الجنسين أقل من عشرة من كل ألف وفي السويد أقل من ثمانية من كل ألف هذا في عام ١٩٧٠ أما في عام ١٩٧٣ فقد وصلت النسبة في السويد إلى ٥ من كل ألف .

(١) التدابير الواقية من الزنا . د. فضل الهي

(٢) في ظلال القرآن . سيد قطب

(٣) التدابير الواقية من الزنا . د. فضل الهي

٢ ـ عدد المقبلين على الزواج في انخفاض مستمر، فقد بلغت نسبة الانخفاض في عام ١٩٤٦ إلى ١٩٧٠ إلى ١٩٪ في السويد. وأكثر من ٢٠٪ في فرنسا أما نسبة الانخفاض ما بين ١٩٤٦ إلى ١٩٧٣ فقد بلغت أكثر من ٥٣٪. . . !!

٣ ـ ارتفاع معدلات الطلاق والازدياد المستمر والمطرد فيها فقد بلغت حالات الطلاق من كل ١٠٠ زواج خلال الفترة من ١٩٦٥ ـ ١٩٨٠ في السويد ٩, ٢٠ حالة طلاق والدنمارك ٢١,٣ وفي انجلترا ١٣,٣ حالة أما في السنوات اللاحقة فقد بلغت في السويد ٣٣,٦ حالة وفي الدنمارك ٣٥ حالة وفي انجلترا ٢٧,٢ حالة.

٤ ـ انخفاض نسبة المواليد: وهذه نتيجة حتمية للنتائج السابقة ولانتشار وسائل منع الذرية سواءً كانت التي تستخدم قبل الحمل أو بعد الحمل أو حتى التي يلجأ إليها بعد الولادة بالقتل أو الإلقاء في الشوارع وقد بلغ معدل هبوط المواليد في بريطانيا ٣٠٪ خلال العشر سنوات الماضية.

● معادلة ثابتة للوضع الاجتماعي المفكك[١]:

الإباحية + الاختلاط وأجواء الإثارة + موانع الحمل + هجر المرأة لمهام الأمومة = انهيار الأسرة بوجود الفراغ العقائدي + انهيار المجتمع.

فبالله عليك أي حياة بهيمية تلك التي يعيشها الغرب وأي انحطاط بعد هذا الانحطاط؟.

وأي خير في حضارتهم ومدنيتهم وتقدمهم العلمي مع هذا السقوط إلى مقر الهاوية. . ؟!

ولك أن تتصور أخي القارىء خطورة دعاة الاختلاط في زماننا هذا. . . ولك أن تتخيل أي سم زعاف ينتظرنا من وراء دعوتهم تلك. . أي دمار وأي هلاك سيسحق ما تبقى من الخير في هذه الأمة إن هي استجابت لتلك الدعوات الهدّامة.

. . . ولا أظن أن لدى أولئك الدعاة مبررات وتأويلات أمام تلك الحقائق

---

(١) لماذ يرفض الإنسان شريعة الله. (بتصرف).

المروعة. . . فقليلاً من الحياء وقليلاً من الرأفة والرحمة بهذه الأمة. . . دعوها ترجع إلى رشدها وأصالتها وإلا فإن اللعنات ستصب عليكم من الأجيال القادمة.

خامساً: الآثار النفسية:

قال ابن عباس: [1] «إن للسيئة اسوداداً في الوجه وظلمة في القلب ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق» ولاشك أن التوازن بين المتطلبات المتعددة للجسم الإنساني هو سبب السعادة والاستقرار النفسي، فمتى ما استقامت رغبات الجسد وغرائزه مع أحكام العقل وموازينه وأحاسيس القلب ومشاعره في ظل القيم والأحكام الربانية كانت هي تلك السعادة الكاملة.

وما الانحراف في الغريزة الجنسية إلا إخلال بهذا التوازن بل قد تسيطر تلك الغريزة على العقل وتوجهه إذا ما استمر هذا الإخلال، وإذا ما تمادى الإنسان في اتباعه لشهواته فإن ذلك قد يحطم بعض المشاعر الفطرية الأساسية وقبل ذلك كله وبعده فإن الاستقرار النفسي والسعادة هي هبة ربانية يهبها الله لعباده الصالحين، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ - الرعد ٢٨ / ٢٩ - كما أن الشقاوة والتعاسة عقوبة ربانية كذلك، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ - الجاثية ٢٣ -.

ومن تلك الآثار النفسية:

- القلق والاضطراب النفسي الذي قد يؤدي بحياة الإنسان ولذلك فإن ارتفاع نسبة الانتحار قرينة لشيوع الانحلال الخلقي[2] وتشير آخر التقارير المنشورة في لندن أن شخصاً واحداً يقدم على الانتحار كل ساعتين في بريطانيا[3].

---

(١) الجواب الكافي: ابن القيم

(٢) السويد ذات النسبة الأعلى في الانتحار هي ذات نسبة عالية من الإباحية الجنسية.

(٣) مجلة الاتحاد عدد أكتوبر ١٩٨٧

● لزوم الشك وعدم الثقة بين الأزواج بعضهم البعض وبينهم وبين الأبناء ومن الجنسين. ويتطور الأمر للشك في صحة الأنساب.

● ذبول أحاسيس ومشاعر الغيرة والعرض والشرف والحياء والرجولة... بل إنها أصبحت لدى بعض المجتمعات من الكلمات التي محيت من قواميسها، كالذي نشرته إحدى الصحف الكويتية كنتائج لاستبيان أجري على شعوب متعددة لبيان ما هي القيم التي توليها تلك الشعوب اهتمامها بالمحافظة عليها، فاتضح أن قيمة «الشرف» و«العرض» من القيم التي هي في أسفل سلم الأولويات لدى المجتمعات الغربية في حين أنها مازالت في أعلى السلم لدى الشعوب الإسلامية والعربية.

يقول الإمام ابن القيم مبيناً هذه الحقائق «والزنى يجمع خلال الشر كلها من قلة الدين وذهاب الورع وفساد المروءة وقلة الغيرة، فلا تجد زانياً معه ورع، ولا وفاءً بعهد ولا صدقاً في حديث، ولا محافظةً على صديق، ولا غيرة تامة على أهله، فالغدر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعدم المراقبة وعدم الأنفة للحرم وذهاب الغيرة من القلب من شيمه وموجباته»[1].

وذكرت مجلة التايم الأمريكية أن ٦ ملايين زوجة تتعرض للضرب من الزوج كل عام وتبلغ حالات الضرب المفضي للموت من ٢٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ حالة[2].

● فقدان مشاعر الأبوة والأمومة والبنوة.

ولعل في ظاهرة تعذيب الأطفال والتي أقضت مضاجع علماء الاجتماع الغربيين خير دليل على ذلك وعندما قامت «الجمعية الوطنية لمنع القسوة عن الأطفال» في بريطانيا بدراسة الظاهرة اكتشفت أنها لا تقتصر فقط على بيوت الطبقة الفقيرة بل تعدت ذلك إلى البيوت المترفة، وعلقت مجلة «حضارة الإسلام» على السبب الحقيقي لهذا الوبال وهو سبب نفسي عضده الشك في صحة البنوة من قبل الأزواج وبالتالي فقدان مشاعر

---

(١) روضة المحبين. ابن القيم

(٢) رسالة إلى حواء. محمد رشيد العويد

الرحمة والأبوة والأمومة، ولذا فإن نسبة الأطفال غير الشرعيين في الولايات المتحدة الأميركية ارتفعت من ٣,٥٪ إلى ١٧٪[1] خلال العقدين الأخيرين.

- شيوع الجرائم اللاأخلاقية لأسباب نفسية: حيث أصبح انتشار هذا النوع من الجرائم من النتائج المنطقية للإباحية الجنسية[2]، ويرجع ذلك إلى سببين:

الأول: كثرة أولاد الزنا الذين يفقدون الحب والحنان وينشأون في قلوبهم الحقد والكره لمجتمعهم.

الثاني: وفي أجواء الإباحية فإن الشاب يريد أن يمارس العلاقة الجنسية مع أي فتاة تعجبه برضاها أم رغماً عنها.

وليست أدل على ذلك من تقرير نشرته وزارة العدل الأميركية خلال عام ١٩٧٧، وجاء فيه:

«تغتصب فتاة كل ثماني دقائق في الولايات المتحدة الأميركية وارتكبت ٦٣٠٢٢ جريمة اغتصاب الفتيات خلال سنة ١٩٧٧»[3].

سادساً: الآثار المرضية:

قال رسول الله ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»[4]

هذه هي العقوبة الربانية لأولئك المترفين... صدقت يا رسول الله. وما نراه ونسمعه في أيامنا هذه إلا دليل صدق ونبوءة، ونتأمل في هذا الحديث فنجد أن هذه العقوبة قد تحولت من العقوبة الفردية للمقترف والعاصي إلى العقوبة الجماعية للمجتمع.. لماذا؟ لأنه رضي بها وبالإعلان فيها «حتى يعلنوا بها» وهذه هي إشارة البدء للهلاك والدمار أن يتقبل المجتمع الممارسات اللاأخلاقية ويرضى بها ويعلن عنها... كل ذلك بحجة الترفيه والسياحة والتخفيف على الناس من أعباء الأعمال الرسمية ومسايرة المجتمعات المتحضرة.

---

(١) مجلة الداخلية

(٢) (٣) التدابير الواقية من الزنا ـ د. فضل إلهي.

(٤) تقدم تخريجه

وهذه بعض الحقائق من تلك المجتمعات المتحضرة:

- «إن الأمراض الجنسية من أكثر الأمراض المعدية انتشاراً في العالم، وتشكل تهديداً خطيراً على الصحة العامة في العالم اليوم وللأسف لم ندرك بعد أبعاد هذه المشكلة».
- قرار منظمة الصحة العالمية ١٩٧٥ -.

كما يقدر عدد ا لمصابين بمرض السيلان سنوياً ٢٥٠ مليون شخصاً وعدد المصابين بالزهري ٥٠ مليون شخصاً سنوياً (تقديرات عام ١٩٧٧)[١].

- بلغ عدد الأميركيين المصابين بمرض هربس التناسل عشرين مليوناً في عام ١٩٨٣ كما يتم تشخيص نصف مليون حالة جديدة سنوياً.

- كانت الأمراض الجنسية مقتصرة على «السيلان - الزهري - القرحة الرخوة - الالتهاب البلغي التناسلي - الورم المغبني الحبيبي» ثم ظهرت الأمراض الجديدة... «التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»... !!! كمرض فقدان المناعة (الإيدز) ومرض التهاب الكبد الفيروسي عن طريق الشذوذ الجنسي والأمراض التي كانت معروفة وانتشرت بقوة مرض الهربس التناسلي - التهاب مجرى البول غير السيلان - التهاب الحوض لدى النساء - ثآليل التناسل - مرض الكانديدا».

- ومن مخاطر هذه الأمراض:

- إن بعضها يودي بحياة الإنسان خلال فترة قصيرة كمرض الإيدز الذي لا يمهل المصاب أكثر من سنتين ويقول الدكتور هوفلند: «لا أعلم بين جميع العلل المقصرة للحياة ما هي أكثر وبالاً وأجمع لجر المرء إلى حتفه كالإفراط في الفسق، فمن السهل علينا أن نعدها أقرب الوسائل إلى تقريب الأجل»[٢] وبلغ عدد الوفيات بسبب الإيدز في ألمانيا ٩٠٥ حالة من عدد المصابين المسجلين وعددهم ١٢٠٠ مصاب وأعلنت وزارة الصحة الألمانية أن ٧٥٪ من مرضى الإيدز من الرجال الشواذ جنسياً و ١٠٪ من النساء الشاذات»[٣].

---

(١) الأمراض الجنسية، د. محمد علي البار

(٢) التدابير الواقية من الزنا. د. فضل إلهي

(٣) جريدة القبس ٢٤/٦/٨٨

- وبعضها يسبب الإصابة بالعقم كالسيلان يقول جيمس باجيه: «على الشباب أن يملك هواه الطبعي أكثر من سائر الأهواء فإنه أصعبها قياداً وأسرعها تقصيراً للأجل وأشدها توهيناً للقوى وتقريباً من العناء وإبعاداً من الشفاء»[1].

- إصابة العظام بالتآكل والكبد والرئتين بالالتهابات المزمنة ومرض «الشلل الجنوني العام» الذي يصيب الدماغ بالضرر والتلف كنتاج لمرض الزهري.

- إصابة الأجنة والأطفال حديثي الولادة، حيث يخرج الجنين إلى الحياة حاملاً لخطيئة أحد والديه أو كلاهما»[2].

---

(١) التدابير الواقية من الزنا. د. فضل إلهي

(٢) الأمراض الجنسية. د. محمد علي البار.



الفصل الثاني: موقف الاسلام من الغريزة الجنسية

أولا: النفس وأقسامها

ثانيا: مظاهر الانهزام أمام النفس

١ ـ العشق والحب المحرّم

٢ ـ الاستمناء

ثالثا: آثار ارتكاب المعاصي



موقف الاسلام من الغريزة الجنسية:

يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه (منهج التربية الإسلامية) ـ بعد أن وضح أن الإنســان في نظر الإسلام فيه كيان مادي له حاجاته فيستجيب الإسلام لتلك الحـاجـات وينظم إشباع الإنسان لتلك الحاجات (وفي الوقت ذاته يؤمن بالكيان الروحي للإنسان يؤمن بأن فيه نفخة من روح الله ويؤمن بما لهذا الكيان الروحي من مطالب وما يشتمل عليه من طاقات فيعطيه ما يطلبه من عقيدة ومثل وصعود وترفع ويجند طاقاته في إصلاح كيان النفس وإصلاح شرود المجتمع وإقامة الحق والعدل الأزليين بأن يصله بالله).

ثم يقول: (حين تطغى على الإنسان شهوة من شهواته، شهوة مال أو شهوة جنس أو شهوة قوة أو شهوة سلطان فذلك اختلال في باطن نفسه لا يسعده في الحقيقة وإن بدا له في أول الأمر أنّه مستمتع وراض وسعيد، إنما هو في الواقع في شقوة دائمة لأنه قلق على ما عنده وراغب في المزيد ثم هو اختلال في واقع الحياة، فكل شهوة زائدة عن الحد لا تجرف صاحبها وحده، وإنما تصيب غيره من الناس في الطريق تصيبهم بعد أن يقع عليهم لا محالة من هذه الشهوة التي تجاوزت الحدود).

ومن هذا التصور يعتبر الإسلام الغريزة الجنسية إحدى الطاقات الفطرية التي يجب أن يتم تصريفها في الحدود التي شرعها الله والتي من أجلها أودع هذه الغريزة في الإنسان. (وإن الفطرة التي خلقها الله جعلت في استخراج هذه الطاقة الفطرية لذة ممتعة ولكنها لم تجعل هذه اللذة هدف الاستخراج المحض، بل حدد الإسلام لها أهدافاً سامية.

وإن من الأهداف التي يجب أن يحققها إفراغ الشحنة الجنسية في الحياة الإنسانية:ـ

١ ـ عقد أواصر المودة والرحمة بين الرجل والمرأة وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ ـ الروم ٢١ ـ.

٢ ـ تكوين الأسرة وطن الراحة والاستقرار ومصنع الأجيال والشعوب ومبعث المسؤولية فالرجل راعٍ في بيته ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيتها ومسؤولة عن رعيتها وهما معاً راعيان في المجتمع ومسؤولان عن رعيتهما ينشران لها الخير ويحققان لها السعادة ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ـ الفرقان ٧٤ ـ.

٣ ـ استمرار النوع وتكاثر النسل وعمارة الحياة، وهذه سنة الكون وفطرة الحياة التي فطر الناس عليها.

٤ ـ تحقق النفعين الحسي والنفسي للإنسان من إفراغ الشحنة الجنسية)[1].

ولخطورة انحراف هذه الغريزة وسهولة قبول النفس الأمّارة بالسوء لهذا الانحراف بل وسعيها أحياناً إليه كان تحذير الإسلام وعنايته لهذا الأمر.

● فأوضح الإسلام أن صون الفرج من صفات ورثة الفردوس، وإن من يتعدى حدود الله في هذه الشهوة فهو من العادين المعتدين على شرع الله لن يناله الفلاح والخير لا في الدنيا ولا في الآخرة، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.

وفي آخر هذه الآيات ذكر أن هؤلاء ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾. ـ المؤمنون ١/٥ ـ

وهذه الآية تتضمن ثلاثة أمور:

إن من لم يحفظ فرجه لم يكن من المفلحين وأنه من الملومين ومن العادين ففاته الفلاح واستحق اسم العدوان ووقع في اللوم.

● ويقول الرسول ﷺ: «من ضمن لي ما بين لحييه وفخذيه ضمنت له الجنة» وفي رواية: «اضمنوا لي ستاً أضمن لكم الجنة ـ ثم ذكر منها ـ (احفظوا فروجكم)[2]»

---

(١) الإسلام والجنس: فتحي يكن.

(٢) رواه أحمد والحاكم وابن حبان وحسنه الألباني (ص.ج.ص١٠٢٩).

وفي الحديث: «**أكثر ما يدخل الناس النار: الفم والفرج**».[1]

- وحذر الإسلام أشد تحذير من مقاربة الزنى والتحذير من مقدماته ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ ـ الإسراء ٣٢ ـ.

- وتوعد بالعذاب المضاعف لمن يقترف الفاحشة ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ ـ الفرقان ٦٨ ـ.

- وفي الصحيحين في خطبة الرسول ﷺ في صلاة الكسوف: «**يا أمة محمد والله إنه لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ثم رفع يديه وقال اللهم هل بلغت**». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذّاب وعائل مستكبر**» رواه مسلم والنسائي.

- وبيّن الإسلام أن في الانحراف استجلاب لغيرة الله سبحانه وتعالى ففي الحديث «**إن الله يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم الله**» ـ متفق عليه ـ ولذلك فقد تشدد الاسلام في عقوبة الزنى وجعلها من أقسى العقوبات. ففي الحديث: «**لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**» ـ متفق عليه ـ وأما عقوبة اللوطي فهي القتل كذلك إما رجماً أو قتلاً أو أن ينظر أعلى بناء في المدينة فيرمى منه منكساً ثم يتبع بالحجارة[2].

- وعذاب الآخرة أشد وأبقى خصوصاً لمن اقترف هذه الفاحشة حيث رأى رسول الله ﷺ في رؤياه تنوراً فيه نساءً عاريات ورجالاً عراة وهم في صراخ وعويل والنار تحرقهم حرقاً وكلما نفخت فيهم علت صرخاتهم وصياحهم وهكذا أبد الآبدين، فلما سأل الملكين قالا: فإنهم الزناة والزواني[3].

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٤) وصححه الترمذي (٢٠٠٤) وابن حبان (موارد ١٩٢٣) والحاكم (٤/٣٢٤).

(٢) روضة المحبين. ابن القيم

(٣) الحديث رواه البخاري

● لذلـك شرع الإســلام لأفـراده ورغبهم في فضيلة من أعـظم الفضـائـل وهي الاستعفـاف، فوجههـا إليهم ربهم من فوق سابـع سماء. ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ - النور ٣٣ -.

(هذه الدعوة القرآنية إلى العفة تربية نفسية كريمة تقوّي في نفوس الشباب الإرادة، وتسبغ على قلوبهم الطهارة، تسمو بها أرواحهم وتطمئن بها نفوسهم ويسلم بها إيمانهم)[١].

● كما شرع الإسلام كثيراً من الآداب الشرعية التي هي بمثابة أسوار الوقاية ضد تلك الفاحشة فشرع آداباً للاستئذان وآداباً للنظر وحذر من الاختلاط وشرع محظوراته، وشرع الحجـاب ورغب في الزواج مما يكفل سلامة الفرد ونقاء المجتمع وطهارته. وأنـزل الله سبحانه وتعالى سورة كاملة في القرآن هي تربية ربانية لتهذيب الغريزة الجنسية، وهذا فهرس يبين الآيات التي تربي المؤمن على الآداب الشرعية السابقة من سورة النور[٢].

جدول (٢)

الموضـــوع	الآيـــات
التحذير من الزنى	٢، ٣، ٣٣
آداب الاستئذان وأحكامه	٢٧، ٢٨، ٥٨، ٥٩
غض البصر	٣٠، ٣١
حفظ الفرج وصونه	٣٠، ٣١
الحجـــاب	٣١، ٦٠
العفة والحث عليها	٣٣، ٦٠

وبما أن منطلق الانحراف والإعوجاج في الغريزة هي النفس كان لابد من التعرف عليها وعلى أقسامها وحقيقتها ومظاهر الانهزام أمامها.

---

(١) مسؤولية التربية الجنسية. عبدالله علوان

(٢) انصح بالرجوع لكتاب «في ظلال القرآن» و «تفسير ابن كثير».

أولا: النفس وأقسامها:

يقول ابن القيم: «للنفس مكانة خطيرة لدى الإنسان المؤمن لأنه يعلم أن سائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانب النفس، فالمواد الفاسدة كلها تنصب إليها ثم تنبعث منها إلى الأعضاء وأولها القلب. . .

والنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا والرب يدعو عبده إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى والقلب بين ذلك. . .»[1]

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ - النازعات ٣٧/ ٤١ - كذلك كان الرسول ﷺ يقول في خطبة الحاجة: «الحمدلله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. . . - فاستعاذ ﷺ من شرها عموماً ومن شر ما يتولد منها من الأعمال، ومن شر ما يترتب على ذلك من المكائد والعقوبات وجمع بينها وبين سيئات الأعمال.

في حديث حصين بن عبيد قال له الرسول ﷺ: «**يا حصين كم تعبد؟ قال: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء، قال: فمن الذي تعبد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء. قال: أسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك الله بها فقال: قل: اللهم، ألهمني رشدي وقني شر نفسي**»[2].

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ - آل عمران ٢٦ - ومن الدعاء المأثور: «**رب آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها**».

وسئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾، فقالت: «يا بني هؤلاء في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ شهد له رسول الله ﷺ بالجنة والرزق، وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم فمثلي ومثلكم» قال الراوي: فجعلت نفسها معنا.

---

(١) (٢) إغاثة اللهفان. جـ١ ابن القيم.

وقال أبوحفص: «من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أوقاتها كان مغروراً ومن نظر باستحسان شيء منها فقد أهلكها»[1].

ولذلك وجب على المسلم أن يطهر هذه النفس ويزكيها وينقيها بالرغبة والرهبة والمجاهدة والتأديب، فتكون مبعث كل خير ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ - الشمس ٧ - ١٠، وبغير هذا التأنيب والتهذيب سيكون المؤمن مقوداً من نفسه وهواها بعد أن كان قائداً، وذليلاً من انتصارها عليه بعد أن كان عزيزاً بطاعة الله وضعيفاً أمامها بعد أن كان قوياً بقوة إرادته وإيمانه.

وقيل في النفس:

هي النفس إن أنت سامحتها رمت بك في مهاوي الخديعة

فلا تعبأن بميعادها فميعادها كسراب بقيعة

والنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب يدعو عبده إلى مخافته ونهي النفس عن هواها، والقلب سيكون بين الداعيين، إلى هذا مرة وإلى ذلك مرة. ولذلك وصفها الله سبحانه وتعالى في القرآن بثلاث صفات: المطمئنة، والأمّارة بالسوء، واللوامة. وهي قد تكون واحدة تتعدد حالاتها وصفاتها، وهذا شرح لتلك الصفات.

الأولى: المطمئنة:

هي التي سكنت إلى الله واطمأنت بذكره، وأنابت إليه واشتاقت إلى لقائه، وأنست بقربه، وهي التي يقال لها عند الوفاة: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ قال ابن عباس: المصَدِّقة، وقال قتادة: هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله، قال الحسن: المطمئنة بما قال الله والمصدقة بما قال، قال مجاهد: هي المنيبة المخبتة التي أيقنت أن الله ربها وضربت جأشاً لأمره وطاعته، وأيقنت بلقائه.

وحقيقة الطمأنينة السكون والاستقرار، فهي التي سكنت إلى ربها وطاعته وأمره وذكره ولم تسكن إلى سواه، فقد اطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته واطمأنت

(١) المرجع السابق.

إلى الرضى به رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى أنه وحده ربها وإلهها ومعبودها وإن مرجعها إليه، وإنها لا غنى عنه طرفة عين.

الثانية: الأمارة بالسوء:

هذه ضد السابقة تأمر صاحبها بما تهواه من شهوات الجسد واتباع الباطل فهي مأوى كل سوء، وإلى كل قبيح وكل مكروه تقود من أطاعها، وهي «أمّارة» وليست «آمرة» لكثرة ذلك منها وهي خلقت بالأصل جاهلة ظالمة إلا من رحمه الله، والعدل والعلم طارىء بإلهام وهدى من ربها فإذا لم يلهمها بقيت على ظلمها وجهلها، ولولا فضل الله ما زكى من المؤمنين أحدٌ، فإذا أراد الله سبحانه بها خيراً جعل منها ما تزكو به وتصلح من الإرادات والتصورات، ومن ذلك يعلم العبد أن حاجته لربه أقوى من كل حاجة فإن أمسك رحمته وهدايته عنه طرفة عين خسر وهلك. وهذه النفس تشد الإنسان شداً إلى الشهوات وتزينها في نفسه ولاتزال به حتى يأتي ما حرم الله من المعاصي وقبائح الأعمال.

الثالثة: اللوامة:

وقد اختلف فيها هل هي المترددة أو التي تلوم صاحبها؟ قال سعيد بن جبير لابن عباس: ما اللوامة! : قال: هي النفس اللؤوم. قال مجاهد: هي التي تندم على ما فات وتلوم عليه. وقال قتادة: هي الفاجرة، وقال الحسن: «إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته يستقصرها في كل ما يفعل فيندم ويلوم نفسه، وإن الفاجر ليمضي قدماً لا يعاتب نفسه» وقال ابن عباس: «كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة، يلوم المحسن نفسه أن لا يكون ازداد إحساناً ويلوم المسيء نفسه ألا يكون رجع عن إساءته». وهذا الأرجح من القول الأول بأنها المترددة، فهي نفس ذلك المؤمن الذي تراه يسأل نفسه بعد كل عمل يحاسبها عليه إن كان إثماً أو معصية لم فعلت ذلك؟ ولم تجرأت على الله؟ كيف نسيت الله ولم استحِ منه؟ وقال الحسن: إن العبد لايزال بخير ما كان له واعظاً من نفسه وكانت المحاسبة من همته.

ثانيا: مظاهر الانهزام أمام النفس:

يقول ابن القيم في أسباب دخول النار «دخل الناس النار من ثلاثة أبواب: باب شبهة أورثت شكا في دين الله وباب شهوة أورثت تقديم الهوى على طاعته ومرضاته وباب غضب أورث العدوان على خلقه». فمن مظاهر الانهزام الكفر والمعصية والبغي. ويقول: «أصول الخطايا كلها ثلاثة: الكبر وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره والحرص وهو الذي أخرج آدم من الجنة والحسد وهو الذي جرّأ أحد ابني آدم على أخيه. فمن وقى شر هذه الثلاثة فقد وُقى الشر فالكفر من الكبر والمعاصي من الحرص والبغي من الحسد».[1]

ولاشك أن من أخطر مظاهر الانهزام أمام النفس هو الولوج في الفواحش والكبائر التي حرمها الله تبارك وتعالى كالزنا والشذوذ الجنسي (اللواط والسحاق) ونكاح المحارم والاغتصاب.

قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ - النور ٢ - وقال ﷺ: «ملعون من عمل بعمل قوم لوط»[2]

ومن مظاهر الانهزام أمام النفس:

١ - العشق والحب المحرَّم:

وهذا من الأدواء التي انتشرت في مجتمعاتنا وأصبحت من أهم القضايا التي تروجها وسائل الإعلام فلا يعرض فيلم إلا ويتحدث عن العشق والحب ولا تكتب رواية إلا عن الحب ولا تطرح مشاكل وهموم إلا مشاكل العشاق وهمومهم وكأنها هي قضية الأمة الأولى والأخيرة.

وإن سقوط الشاب أو الفتاة في شباك العشق لهو من أخطر الأمور إذ أن الهوى من صفاته أنه يهوي بصاحبه وإذا ما استحكم في القلب سيطر على العقل والفكر وألجم

(١) الفوائد. ابن القيم

(٢) صحيح الجامع الصغير ٥٧٦٧

صاحبه فلا يفكر إلا في محبوبه ولا يتكلم إلا فيه ولا يقوم إلا بخدمته ولا يحب إلا ما يحب وهنا يقع الإنسان في عبودية هواه ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ـ الفرقان ٤٣ ـ وإذا فرغ القلب من حب الله ورسوله والجهاد في سبيله تمكن منه الهوى كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

● مضار العشق: لاشك أنه إذا كان هذا حال العشق فإن له آثاراً سيئة منها:

١ ـ الاشتغال بذكر المحبوب المخلوق عن حب الله تعالى وذكره، فمن المعلوم أنه لا يجتمع مع حب الله تعالى حب غيره ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ ـ البقرة ١٦٥ ـ لذا فإن العاشق لا يجد حلاوة الإيمان التي من شروطها: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لايحبه إلالله**» ـ متفق عليه ـ أما هو فقد وقع أسيراً للحب من أول نظرة كما يقولون وأصبح أسيراً «لمعبودته» كما يتسمون ولا يأمن العاشق أن يجره ذلك إلى الشرك كما جر ذلك الشاعر الخاسر حين قال:

وصلك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

نعوذ بالله من هذا الخسران المبين.

٢ ـ العذاب والحسرة والشقاء لتعلق قلبه بمعشوقه وهذه من العقوبة الدنيوية قبل الآخروية فمن أحب شيئاً غير الله عُذّب به، وهذا ما استفاضت به الأخبار عن العشاق وما جرى عليهم من أحوال المرض والغنى والجنون أحياناً بل والقتل أحياناً أخرى»[1].

٣ ـ الانشغال عن معالم الدين والدنيا.

٤ ـ تجمع آفات الدنيا والآخرة في قلوب العشاق وهي أسرع إليهم من النار في يابس الحطب فالقلب العاشق لغير الله محجوب عن مولاه لذا فهو مرتع خصب للشيطان يتولاه كما يشاء.

٥ ـ فساد الحواس، ذلك مصداقاً للحديث: «**ان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح**

---

(١) يمكن الرجوع لكتاب «ذم الهوى» لابن الجوزي للاستزادة

لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب » ـ متفق عليه ـ فإن القلب إذا فسد فسدت العين والأذن واللسان فلا يرى الحسن إلا ما أشرب به هواه، بل يرى القبيح حسناً.

هذه بعض مضار العشق والحب المحرم وسنتناول في الفصول الأخيرة الدواء النافع من ضمن منهج الاستعفاف إن شاء الله.

ومن مظاهر الانهزام أمام النفس:

٢ ـ الاستمناء (العادة السرية):

وهي من الأمراض التي تحدث لدى انهزام الإنسان أمام هواه وشهوته وهي داء عضال يستشري بين الشباب في سن المراهقة بعد أن يبدأ نداء الشهوة يلح في قلب الشاب في غياب التربية الإسلامية الصحيحة.

أسباب اللجوء لهذه العادة:[١]

١ ـ ضعف الوازع الديني: فما من حرارة تقابل نار الشهوة الحسية غير حرارة الإيمان، ولا برداً يبردها إلا برد التقوى، ولا لجاماً يلجمها إلا لجام الصبر والعفة ومخافة الله فإذا فقدت هذه الثلاث لم يجد الشاب ما يمنعه من تلك العادة القبيحة.

٢ ـ عدم تيسر الزواج المبكر: وهو السبيل الوحيد والشرعي لتصريف الشهوة الجنسية. ومن هنا ندرك أضرار تأخر الزواج وصعوباته وهي من الفتنة التي ذكرها الحديث الشريف: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفسادٌ عريض**» ـ رواه الترمذي[٢] ـ.

٣ ـ الإثارة والشبق الجنسي: حيث تزداد افرازات الهرمونات الجنسية في الدم مما يجلب التوتر والقلق واستعار الشهوة على أشدها والبعض يظهر نضجه الجنسي مبكرا في أجواء الإثارة.

٤ ـ الفضول: قد يدفع الفضول الولد إلى العبث بأعضائه أو السؤال عن تلك العادة مما

(١) بتصرف من كتاب «بانتظار حورية من الجنة» محمود النجيري

(٢) صحيح الجامع الصغير ٢٦٧

يلفت انتباهه إليها وهنا يظهر أثر التربية والصحبة الصالحة التي لا يتعلم فيها المرء إلا الخير وضرر الصحبة الفاسدة التي يتلقى منها تلك الشرور.

٥ ـ العادة: حيث يصبح الشاب أسيراً للعادة حتى بعد زواجه مما يفسد عليه حياته الزوجية ولا يلجأ لتسكين شهوته إلا بهذه الفعلة لأنه قد تعود عليها.

٦ ـ الرغبة في الحصول على اللذة: فتتحول من وسيلة تصريف الشهوة إلى وسيلة لاستجلابها وهنا مكمن الخطورة في التساهل في علاجها منذ البداية فالإقلاع عنها حيث يكون الأمر أيسر من أن تصبح عادة مستحكمة.

٧ ـ إطالة الفكر والتأمل في الخلوات: خصوصاً في أوساط الأفلام الخليعة الفاضحة والقصص الغرامية والتي تجعل الشاب يسبح في بحر الأوهام والتخيلات وذلك نتيجة الفراغ والخواء، كما قال الشاعر:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

٨ ـ الضعف العقلي: فالوقوع في هذه الرذيلة يدل على ضعف العقل وإن الواقع بها لا يدرك ما يجنيه هذا الفعل من دمار لقواه الجسدية والعصبية.

ـ لذا أصبح لزاماً على الشباب أن يدركوا خطورة هذه العادة وأضرارها المتعددة عليهم وعلى مستقبلهم. وذلك للوقاية من شرورها، **ولعل من أبرز مخاطر وأضرار الاستمناء ما يلي:**[1]

١ ـ الاستمناء وبال على الدين: فإن هذا الفعل يظلم القلب وينجس الضمير ويغشى الوجه بقطع من الليل مظلماً. فهي خطيئة العبد تجاه ربه وحجاب للقلب عن محبة الله تبارك وتعالى. والواقع فيها لن يستطيع أن يمنع نفسه من الوقوع في محارم الله فالآثام تهوّن بعضها البعض في قلوب العباد.

٢ ـ الاستمناء يسلب الفضائل:

فهو يورث الهم والحزن في الصدر ويضعف الجسد ويسبب بلادة الذهن وفتور الهمة وضياع المروءة والهروب من الناس والخجل من مواجهة الحقائق وكم من شاب كان

---

(١) المرجع السابق.

ملتزماً بالشرع فلما تمكنت منه هذه العادة رق دينه وانتفت عراه وتبدلت أخلاقه بعد أن كان زهرة المجالس وأنس المساجد.

٣ - الاستمناء يسلب القوة ويقوض الأجهزة الجنسية:
فالقوة للمسلم تعينه على العبادة والطاعة والجهاد وتدفعه للبناء والتقدم، وإذا ما تعودت الألياف العصبية عليها فقد يصعب بعد ذلك أن تستجيب للوسيلة الشرعية وهي الزواج وستظل أسيرة لتلك العادة القبيحة.

٤ - الاستمناء يضر الذاكرة: ذلك أن المستمني يلجأ للتخيلات الذهنية التي تستهلك المراكز المخية المخصصة لذلك، مما يهيج الذاكرة ويشتتها وهذا سر الألم الشديد الذي ينتاب الدماغ بعد تلك العادة القبيحة.

٥ - الاستمناء مخالف لفطرة الأجناس: فالدافع الحسي يحدو إلى حب الاجتماع أما الاستمناء فهو على النقيض حيث يدفع المرء للشرود تحت تأثيره ولكنه عندما يستيقظ من غفلته يجد نفسه وحيداً في وحشة قاتلة قد صرف قواه هباءً وضيع نضارته وعنفوانه في عمل يجلب المرارة ويفرق الكائنات بدل أن يجمعها في الإطار الشرعي والاجتماعي.

٦ - إدمانه يسبب الأمراض: فالمواد الحيوية الكامنة في الإنسان هي من ضروريات بناء الجسم الإنساني، وفقدانها بتلك الفعلة القبيحة يسبب ضعف البنية والهبوط الجسمي والمرض النفسي. كما أن الاستمناء من الأسباب الرئيسية في الضعف الجنسي (العنّة) وضعف البصر وحب الشباب وتقوس الكتفين وضعف الهضم.

الحكم الشرعي في الاستمناء[1]

قد دلت النصوص من الكتاب والسنّة على تحريم الاستمناء، وعلى ذلك جرى جمهور العلماء قديماً وحديثاً.

---

(١) المرجع السابق.

الأدلة على التحريم:

الدليل الأول:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ ـ المؤمنون ٥/٧ ـ.

وجه الاستدلال:

قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ تعليقاً على الآيات:

أثنى ـ سبحانه ـ على من حفظ فرجه فلم يقضِ وطره إلا مع زوجه أو أمته وحكم بأن من قضى وطره فيما وراء ذلك أياً كان فهو عادٍ متجاوز لما أحله الله له ويدخل في عموم ذلك الاستمناء باليد كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير وغيره»[1].

الدليل الثاني:

قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ ـ النور ٣٣ ـ.

وجه الاستدلال:

قال الشيخ أبوالفضل عبدالله بن محمد بن الصديق الحسني الإدريسي: «تدل هذه الآية على حرمة الاستمناء من وجهين:

الأول: أن الله تعالى أمر فيها بالاستعفاف، والأمر يدل على الوجوب كما تقرر في علم الأصول، فيكون الاستعفاف واجباً وحيث وجب اجتناب ما ينافيه كالزنا واللواط والاستمناء ونحوها، فتكون هذه الأشياء واجبة الاجتناب محرمة الفعل لأن الاستعفاف الواجب لا يتحقق إلا باجتنابها جميعاً.

الثاني: أن الله تعالى أوجب في الآية الاستعفاف على من لم يستطع القيام بتكاليف النكاح

---

(١) وانظر تفاسير الطبري والقرطبي والبغوي والخازن والنسفي والألوسي والشنقيطي في تفسير الآيات الكريمة.

ولم يجعل بين النكاح والاستعفاف واسطة، فاقتضى ذلك تحريم الاستمناء، ولو كان مباحاً لبينه في هذا الموطن لأن هذا مقام بيانه، إذ أحوج ما يكون الرجل إلى جواز الاستمناء، إذا لم يجد سبيلاً إلى النكاح لاسيما عند توقان نفسه إلى الوطء».

الدليل الثالث:

أخرج الشيخان عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**.

وجه الاستدلال:

أرشد الرسول ﷺ إلى أن السبيل الطبيعي لغضِّ البصر وإحصان الفرج، هو الزواج وذلك لمن قدر عليه من الشباب، ثم بين الطريق لمن لا يستطيعون الزواج وهو الصوم لأنه يلطف الشهوة ويُبرد جأشها، ولو كان الاستمناء مباحاً لذكره الرسول ﷺ هنا لأن المقام مقام بيان فالسكوت هنا يدل على الحصر، أي السكوت عن ذكر غير الصيام يفيد انحصار الأمر في الصيام فيكون ما عداه من طرق تصريف الشهوة محظوراً.

ونقول أيضاً: «لو كان الاستمناء مباحاً، لكان الإرشاد إليه أسهل «من الإرشاد إلى الصيام». انتهى.

وقد أجازه بعض العلماء عند الاضطرار والخوف من الوقوع في الزنا[1] وذلك وفقاً لقاعدة «تحمل أخف الضررين». كالحنفية والحنابلة، وحكم المرأة في ذلك كحكم الرجل، ولكنهم قالوا بحرمته إن كان لاستجلاب الشهوة.

ثالثا: آثار ارتكاب المعاصي:[2]

للمعاصي آثار تظهر على مرتكبها في دنياه وآخرته، على نفسه وعلى من حوله ومنها:

١ ـ حرمان العلم فإن العلم نور من الله يقذفه في القلب والمعصية تطفىء ذلك النور.

---

(١) التشريع الجنائي الاسلامي. عبدالقادر عودة.

(٢) ينصح بالرجوع إلى كتاب «الجواب الكافي» لابن قيم الجوزية، فصل **«عقوبات المعاصي»** وآثارها ابتداءً من ص ٥٤ ففيه الكفاية والفائدة العظيمة.

٢ - حرمان الرزق قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ - الشورى ٣٠ -

٣ - وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا توازنها ولا تقارنها لذة وهذا لا يشعر به إلا من كان قلبه حياً.

٤ - الوحشة بينه وبين الناس «إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق امرأتي ودابتي» كما قاله أحد السلف.

٥ - تعسير أموره عليه فلا يجدها إلا موصدة في وجهه.

٦ - إنها تزرع أمثالها وقد قيل: «إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها»، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا ﴾ - يونس ٢٧ -

٧ - وهو أخطرها: بأن تضعف القلب عن إرادة الخير فتقوي إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئاً فشيئاً إلى أن تنسلخ من قلبه كلية وهذا من أعظمها خطورةً.

٨ - ينسلخ من القلب استقباحها فتصير عادة فلا يستقبحها ولا يكرهها بل ويألفها، يستره الله ويأبى إلا أن يجاهر بها أمام الناس، وهذه مرتبة تزيين الباطل لصاحبه وهي من أدنى الدرجات في الضلال، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ - فاطر ٨ -.

٩ - هوان العبد على الله وسقوطه من عينه كما قيل: «هانوا عليه فعصوه ولو عزّوا عليه لعصمهم». قال تعالى: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ - الحج ١٨ -.

إن المعصية تورث الذل فإن العز يكون بالطاعة والذل يضرب على العبد بالمعصية قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ - يونس ٢٧ - وفي الدعاء: «**اللّهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك**» قال عبدالله بن عباس: «إن للحسنة ضياء في الوجه ونوراً في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة اسوداداً في الوجه وظلمة في القلب ووهناً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق».

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

وقال عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ - فاطر ١٠ -

١٠- ومنها فساد العقل وإطفاء نوره قال بعض السلف: «ما عصى الله أحد حتى يصيب عقله». ومن ذلك قول الكافرين يوم القيامة: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾. - تبارك ١٠ -.

١١- ومنها أنها إن تكاثرت طُبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾- المطففين ١٤ -.

١٢- تحرمه من دعوة الرسول ﷺ ودعوة الملائكة للمؤمنين والتائبين بالرحمة والمغفرة. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ..﴾ - غافر ٧ -.

١٣- تدخله في لعنة الرسول ﷺ فإنه قد لعن من العاصين آكل الربا وشارب الخمر والمخنثين من الرجال والمترجلات من النساء.

١٤- ومنها ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب وهو أصل كل خير وذهابه ذهاب كل خير «ومن استحى من الله عند معصيته استحى الله من عقوبته يوم يلقاه ومن لم يستح من معصيته لم يستح من عقوبته» كما قال ابن القيم.

١٥- نسيان الله للعبد وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ - الحشر ١٨، ١٩

وغيرها الكثير منها: أنها تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة وأنها تعمي بصيرة القلب وأنها تمحق بركة العمر وإنها تبعد عنه الملائكة وتقرب له الشياطين وإنها تهلك الإنسان في الدنيا والآخرة بأصناف من العذاب.

الباب الثاني: أسباب الانحراف الخلقي ومعوقات الاستعفاف

المعوق الأول: وسائل الاعلام المفسدة
المعوق الثاني: حركة التغريب
المعوق الثالث: حركة تحرير المرأة
المعوق الرابع: ضعف التربية الأسرية
المعوق الخامس: الصحبة الفاسدة
المعوق السادس: وسائل ومنتديات الترفيه غير البريء
المعوق السابع: السياحة الخارجية غير الواعية
المعوق الثامن: غياب التشريع الاسلامي
المعوق التاسع: غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
المعوق العاشر: معوقات الزواج

المعوق الأول:

وسائل الاعلام المفسدة:

مما لاشك فيه أن عصرنا الحاضر هو «عصر الإعلام» ووسائل الاتصال، وأصبح لأجهزة ووسائل الإعلام المكانة الخطيرة في توجيه الشعوب وصياغة مفاهيمها وتصوراتها وسلوكياتها وترسيخ القيم والمبادىء، وما كان ذلك ليكون لو لم يكن لوسائل الإعلام ذلك التأثير المميز على النفس البشرية، ومن هنا برزت أهمية صلاح تلك الأجهزة وخطورة أن تتحول أهدافها من البناء إلى الهدم، وأن تصبح وسائلها معاول تخريب وأدوات إفساد.[1]

ومع ما لتلك الأجهزة ـ في الواقع ـ من إيجابيات إلا أنه من الملاحظ أن الهدم فيها أكثر من البناء مما جعلها ـ في غالبيتها ـ أسباباً للإنحراف ومعوقات للاستعفاف، وذلك وفقاً لما يلي:

الوسيلة الأولى: التلفاز:

ويعتبر من أخطر الوسائل الإعلامية لما له من تأثير كبير على المشاهد وذلك لقدرته على جذب الانتباه وتركيزه على دقائق الصور والحركة واللقطات الحية، ويتضح ذلك من النتيجة العلمية التي ذكرها أحد التقارير العلمية لمنظمة «اليونسكو»[2] أن الإنسان يحصل على معلوماته بنسبة ٩٠٪ عن طريق النظر وبنسبة ٨٪ عن طريق السمع، وأن العين تجذبها الحركة أكثر من أي شيء آخر.

كما ثبت أن ٢٨٪ من الشباب و٣١٪ من الشابات يبالغون في مشاهدة التلفزيون في وقت الفراغ في الكويت[3] ولكن. . . هل قام التلفزيون فعلاً بواجبه كوسيلة فعّالة للثقافة والتعليم والتوجيه والإرشاد؟ هل أدرك التلفزيون دوره الخطير في عملية التنشئة الاجتماعية وتقويم السلوكيات لدفع عجلة التنمية ورقي المجتمع؟

---

(١) فطنت الصهيونية العالمية لهذا الأمر فأحكمت سيطرتها على وسائل الإعلام العالمية. أنظر كتاب «السيطرة الصهيونية على وسائل الاعلام العالمية». زياد أبوغنيمة.

(٢) التلفزيون بين الهدم والبناء ـ محمد كامل بن العمر

(٣)دراسة «الشباب ووقت الفراغ» الديوان الأميري.

هل أحسن التلفزيون استغلال سطوته وسلطانه في تدعيم القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية؟

هل شعر المسؤولون عن الجهاز بضرورة تنقية الإنتاج التلفزيوني من كل ما يتنافى مع قيمنا الدينية والأخلاقية قبل السماح بعرضه على الشاشة حماية للنشء والصغار الذين يلتقطون ويتقمصون ما يشاهدونه؟ ولقد أوضحت الدراسات أن المشاهدين يتقمصون الشخصيات التلفزيونية وأن الأطفال يكررون السلوك الذي يشاهدونه على الشاشة حيث ثبت أن التلفزيون يؤثر في مفهوم الأطفال عن أمور الحياة وقيمها، كما يؤثر في مشاعرهم وأحاسيسهم[1] بل إن التأثير السلبي للتلفزيون وصل إلى درجة المساس بالكيان الأسري، فقد جاء في دراسة د. غلين والتي استندت على استفتاء ٢٠ ألف شخص في السنوات ١٩٧٢ ـ ١٩٧٦، أن نسبة المتزوجين السعداء جداً في الأعمار من (٢٥ ـ ٢٩) انخفضت من ٤٤٪ إلى ٣٢٪ ويعزو ذلك إلى سببين: الأول اتجاه المزيد من النساء للعمل، والثاني هو تأثير برامج التلفزيون الشعبية، وذلك أن التلفزيون (والسينما) يقومان بتجميل صورة الخيانة الزوجية وصورة العزوبية الحرة[2] وهذه بعض الحقائق والنتائج العلمية لبعض الدراسات التي تمت حول الموضوع للإجابة على التساؤلات السابقة:

١ ـ يؤكد علماء النفس والاجتماع على أن هناك علاقة ارتباط[3] بين ازدياد جرائم العنف وازدياد البرامج المليئة بالسلوك الإجرامي وأعمال العنف، وفي دراسة للدكتور «وليام بيلون» العالم الاجتماعي البريطاني ذكر فيها أنّ الصغار الذين يشاهدون الكثير من برامج العنف في التلفزيون يتسم سلوكهم بالعنف بدرجة تزيد مرتين على أولئك الذين لا يشاهدون إلا القليل منها.

وثبت أن ٣٩٪ من الأحداث المنحرفين في أسبانيا قد تلقوا معلوماتهم من الأفلام السينمائية والتلفزيونية.
صحيح أن الكثير ممن يشاهدون تلك المشاهد لم يرتكبوا سلوكاً إجرامياً ولكن ممالاشك فيه أن تلك المشاهد تؤدي لانحراف من لديه استعداد نفسي لذلك.

---

(١) التلفزيون بين الهدم والبناء. محمد كامل بن العمر

(٢) جريدة القبس ٤ ابريل ١٩٨٨.

(٣) التلفزيون بين الهدم والبناء.

٢ ـ التلفزيون يمكن أن يثير الدوافع وقد ينتج الشعور بالإحباط لأن البرامج تخلق نوعاً من الإثارة وخصوصاً لغرائز المراهقين الجنسية. كما أنها تستثير عواطف المراهق ولا تهذبها كما يرى[1].

٣ ـ يحرص التلفزيون على إظهار المرأة بالصورة العاطفية حيث يستغرقها الحب لفتاها ويظهر ذلك من خلال الأغاني الغرامية واللقاءات المحرمة ومشاهد الإثارة الجنسية، والتي تفتقد لأي معنى إنساني أو اجتماعي بنّاء.

كما أثبتت الدراسات أن السينما المصرية قدمت المرأة في صورة غير لائقة، فهي إما منحرفة السلوك أو منحرفة الفكر أو الاثنان معاً. . كما أنها صورت المرأة من زاوية الأنثى المدللة ذات الإغراء والجاذبية الجنسية، كما ركزت على الجوانب الإنحرافية في شخصية الطالبة الجامعية بأنها عاشقة وولهانة دوماً، وتحولت الجامعة تبعاً لذلك إلى مكان للعشق والإنحراف[2]. وترتب على ذلك كثرة مشاهد الإثارة والجنس والعري المبتذل والتي يعرضها التلفزيون بعد موافقة الرقابة. . !

٤ ـ وأصبح على الفتاة أن تحل المعادلة الصعبة، عليها أن تتشبع بهذه الأفلام والصور والأصوات الصارخة بالجنس وعليها في نفس الوقت ألا تتأثر بها وإن تأثرت ـ وهذا ما يحدث ـ فعليها أن تخفي هذا التأثر.

ومن الشواهد المفجعة تلك الرسالة التي بعثتها فتاة في سن الثامنة عشرة وتدعى ن. ن من دمشق تقول فيها:

«إني أفكر بالانتحار في كل دقيقة بل في كل ثانية لأنه لا تمضي ساعة واحدة دون أن أشعر بالعاطفة الجنسية الجامحة تخترق أحشائي كما يخترق الرصاص جسم الإنسان ويقتله وكلما شاهدت فيلماً عاطفياً أو قرأت قصة غرامية تثور عاطفتي وغرائزي»[3]

٥ ـ أشار تقرير من الهيئة الصحية العالمية عام ١٩٥١ عن انحراف الأحداث لقول أحد

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق

(٣) الزنا. دندل جبر

القضاة الفرنسيين العاملين في ميدان الأحداث «لا يخالجني أي تردد في أن لبعض الأفلام وخاصة الأفلام البوليسية المثيرة معظم الأثر على غالبية الأحداث المنحرفين وإننا لهذا لسنا بحاجة إلى البحث عن أسباب عميقة وراء السلوك الإجرامي عند هؤلاء الأطفال أو المراهقين»[1].

. . . ولا يستطيع أن ينكر أحد أن المسألة الجنسية والمشكلات العاطفية مسؤولة عن جانب كبير من الجرائم والإنحرافات الاجتماعية فضلاً عن أن طريقة عرضها وتصويرها بالتفصيلات والمبالغات تدعو إلى استثارة الشهوات ومزيد من الإلحاح الغريزي لتلبية النداء الجنسي[2].

لذا فإن من الضروري أن يكون الرقيب التلفزيوني على مستوى عالٍ من الثقافة التربوية والاجتماعية فضلاً عن الورع الديني والاحساس بعظم مسئوليته تجاه ربه ودينه ومجتمعه ويظل شعاره الدائم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ـ النور آية ٢٠ ـ.

ومن الشواهد الواضحة على ذلك ما جاء في تحقيق صحفي لجريدة «الأنباء الكويتية» حول ظاهرة الرسائل الغرامية بتاريخ ١٩٨٨/٣/٢٩ حين سئل بعض الممارسين لهذه الظاهرة عن أسبابها فقال: «وأظن أن من أهم أسباب قبول البنات بتكوين علاقات عاطفية مع الشباب هو تأثرهم بالمسلسلات العربية التي غالباً ما تتحدث عن عذاب الحب». . وقال آخر «. . . وبصراحة التلفزيون جعلنا نتقن ـ لغة العيون ـ في مخاطبة البنات وهي لغة صامتة لا يفهمها إلا المحبون. .». . !!

جاء في دراسة «الشباب وبرامج التلفزيون» الكويت ١٩٧٢ أن التلفزيون الكويتي يسبب بعض المشاكل الأسرية بنسبة ٦٠٪ كما يرى غالبية المبحوثين أن الهدف الأول للتلفزيون هو الترويح والتسلية، أما دراسة «التلفزيون وطفل المدرسة المتوسطة ١٩٧٤» فقد أظهرت أن ٦٦٪ من الأطفال لا يواجهون أية صعوبة في مشاهدة التلفزيون مقابل ٣٤٪ يواجهون بعض المنع، كما أوضحت أن نسبة تقليد الطفل للبطل عالية وهي ٦٧٪[3].

---

(١)، (٢) التلفزيون بين الهدم والبناء. محمد كامل

(٣) دراسة «أثر برامج العنف والجريمة على الناشئة» ١٩٧٧ د. عدنان الدوري.

لاشك أن الأمر جد خطير ويستحق الالتفاتة الجادة من مسؤولي وزارة الإعلام فهذه مسؤوليتهم أمام الله والمجتمع.

٢ ـ دور السينما:

وهي من الوسائل التي لا تقل خطورة عن التلفاز إن لم تكن أكثر حيث لا يستطيع المشاهد أن يتحكم بما يراه على الشاشة بل يُفرض عليه فرضاً أن يرى الفيلم المعروض كاملاً، وقد ثبت علمياً وجود علاقة بين الأفلام العاطفية ذات القصص الغرامية ووجود الانحرافات الجنسية. فقد أجرت مؤسسة باين عام ١٩٣٠ دراسات لتأثير السينما على الأطفال، وتوصلت ضمن إحدى نتائجها إلى ما يلي:

. من بين ٢٥٢ من البنات المنحرفات وكلهن في السن من (١٤ ـ ١٦) سنة صرح ٢٥٪ منهن بأنهن اشتركن في عمليات جنسية مع بعض الرجال عقب تفتح نفوسهن وغرائزهن الجنسية بعد مشاهدتهن فيلماً لقصة حب عنيفة وقالت ٣٣٪ منهن بأنهن عندما هربن من منازلهن كن متأثرات بما شاهدنه في بعض الأفلام في حين أوضحت ٣٨٪ منهن أنهن عشن عيشة القلق والوحشة والإنقباض[1]، هذا فضلاً عن الآثار الأخرى كالرغبة في حمل المسدس والسرقة والغش وغيرها من أنماط السلوك المنحرف.

. . . إذا كان هذا الأمر في عام ١٩٣٠ فماذا نقول عن واقع دور السينما في عصرنا الحاضر، والتي تخصصت فيه بعض الدور لأفلام الخلاعة والجنس الرخيص. . . ؟! وقلما تعرض أفلاماً سينمائية دون أن تكون الإثارة إحدى ركائزها ومن أسباب دعايتها وإعلاناتها.

٣ ـ الصحف والمجلات:

وهي ذات تأثير خاص ومميز وذلك أن لها اتصالاً يومياً مع الناس بكافة فئاته حتى الأمي فإنه يطلع على المجلات ليتمتع بالصور والمناظر واللقطات.

ـ يقول الأستاذ أبوالأعلى المودودي رحمه الله في كتاب الحجاب: «عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثالوثها عبر حياتنا اليوم وهي جميعها في تسعير سعير لأهل الأرض:

---

(١) نقائص الأطفال وطريقة إصلاحها. محمد الاستانبولي

أولها: الأدب الفاحش الخليع الذي لا يفتأ يزداد وقاحة، ورواجه بعد الحرب العالمية بسرعة عجيبة.

والثاني: الأفلام السينمائية التي لا تذكي في الناس عواطف الحب الشهواني فحسب، بل تلقنهم دروساً عملية في بابه.

والثالث: انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء اللاتي يظهرن في ملابسهن بل في عريهن وفي إكثارهن من التدخين، واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولاالتزام»[1].

* ولعل الآثار السيئة للصحف والمجلات تبرز في الجوانب التالية:

أ ـ عرض الصور الخليعة للنساء الساقطات من الممثلات والمغنيات والراقصات، ويتم العرض بأبهى الصور وأكثرها إثارة وفتنة.

ب ـ عرض الصور عبر الإعلانات التجارية والتي غالباً ما تستخدم المرأة فيها كوسيلة للإثارة والدعاية.

جـ ـ تتبع أخبار الساقطات على أنهن قدوات لغيرهن من النساء، مما يثير في النفوس الخاوية الرغبة في تقليدهن في اللباس والزينه وأسلوب الحياة.

د ـ عرض المقالات والقصص الغرامية وما يتبعها من الأشعار والروايات والأخبار والتي تعرض بأسلوب مثير للغرائز.

هـ ـ تعمّد الإكثار من الزوايا التي تعرض صوراً للنساء المواطنات بتبرجهن وزينتهن وأحياناً بتعريفهن للقراء مما يشجع الفتيات والنساء على التسابق بوضع صورهن في تلك الزوايا.

ومن التناقضات العجيبة أن يجد القارىء أن إحدى الصحف تدعو للفضيلة في صفحة ثم تدعو للرذيلة في الصفحة التي تليها. ومن الأمثلة الفاضحة لدور الإفساد لبعض الصحف ما خرجت به علينا إحداهن بتاريخ ٥/١/٨٨ في إحدى صفحاتها بالإعلان عن إحدى الفتيات الأميركيات من أصل عربي وبعد أن عرضت عنوانها وصورتها تابعت الإعلان بقولها:

العمر: ١٨ عاماً

---

(١) الحجاب. المودودي

الحالة الاجتماعية: تبحث عن شاب مقتدر، قادر على الانتفاضة المادية. . !!
الوظيفة الحالية: ممثلة إغراء.
المشروب المفضل: الشامبانيا باللوز. . !!

فلا ندري تحت أية غاية يوضع هذا الإعلان؟ وماذا يتوقع أصحاب هذه الجريدة من الشباب المراهق لدى قراءته؟!

٤ ـ الأدب الخليـع:

من الكتب والقصص والروايات والتي يجد فيها أدباء الجنس بغيتهم في نشر الميوعة والانحلال والتفسخ، هؤلاء الذين قال فيهم الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله: «إن هؤلاء الناس من أدباء الجنس يحملون بأيديهم معاول التهديم في صرح كياننا الداخلي المتين. وهم في هذا الطريق الذي اختطوه لا يريدون بذلك مصلحة الأمة ولا يندفعون وراء عقولهم بل وراء أهوائهم وشهواتهم وهم يبغون منه الإثراء المادي بنشر هذا الأدب الرخيص المدمر بين الشباب والفتيات ليقبلوا عليه ويلتهموا ما فيه. .».

إننا نقول لهؤلاء اتركوا بناتنا عفيفات. . اتركوا لنا زوجاتنا وفيات مخلصات. . اتركوا لنا شبابنا شباب قوة وكفاح لا شباب ميوعة وانحلال. .

ولتأكيد ما أشرنا إليه نورد ما ذكره بعض المسئولين في دراسة بعنوان «أثر العوامل الاجتماعية وقانون الجزاء في انتشار جرائم هتك العرض في الكويت» حيث ذكروا أن انتشار الجرائم ومنها الجرائم الجنسية «قد يشجعه نشر اخبار هذه الجرائم في الصحف بتفاصيل مخلة بالحياء والأدب» وأشاروا كذلك الى أن «أسلوب الصحافة التجاري يجعل من نشر الجرائم الجنسية أسلوبا رخيصاً للتسلية ومشجعاً لبعض المنحرفين على التورط أكثر فأكثر في مجالات الانحراف» وليس أدل على هذه الحقيقة من الاشارة الى أن ٤١,٤٪ من الذين حكم عليهم بارتكاب جريمة هتك العرض عام ١٩٧٦ كانوا يقتنون مجلات جنسية ممنوع تداولها في الأسواق[١].

٥ ـ أفـلام الفيديـو:

حيث بدأت تنتشر في السنوات الأخيرة انتشاراً ذريعاً، فقد بلغت نسبة الشباب

(١) دراسة «أثر العوامل الاجتماعية وقانون الجزاء في انتشار جرائم هتك العرض في الكويت».

الـذين يقضون أوقات فراغهم بمشاهدة الأفلام الممنوعة ٤٥٪ عند الذكور الكويتيين و٤٠٪ عند الإناث وهي نسب عالية، كما بلغت عند الكويتيين وغير الكويتيين ٤٩٪ و٣٦٪ على التوالي[1].

وتكمن المخاطر الأخلاقية في هذه الظاهرة كما يلي:

١ ـ تعـدد مصادر تلك الأفلام مما يجعلها تستورد لنا أنماطاً من السلوك والأخلاقيات لكافة شعوب العالم بل وبشكل واضح الأنماط الانحرافية المتنوعة لتلك الشعوب حيث أن الغالب في تلك المحلات هي أشرطة الأفلام والقصص الغرامية الأجنبية والعربية.

٢ ـ سهولة الحصول على أجهزة عرض أشرطة الفيديو حتى أصبح من السهولة لكل مراهق أن يجعل له جهازاً خاصاً في حجرته.. وهذه هي علامة الخطر التي ينبغي أن ينتبه لها كل مرب.

٣ ـ سهولة تداول تلك الأشرطة بين الشباب كما أنه يسهل الاستنساخ عليها وتوسيع دائرة توزيعها.

٤ ـ صاحبت هذه الظاهرة قضية خطيرة جداً وهي الأفلام الجنسية الخلاعية التي تعرض العري واللقطات الفاضحة جداً والتي تصرع الشباب المراهق صرعاً إذا ما وقع في أسرها، ولنا أن نتصور حال الشاب الذي تملكت عليه شهوته وهو يرى تلك الأفلام فماذا يتـوقـع منه؟ خصوصاً في الأجواء غير التربوية التي يعيشها فلا رقابة أسرية جادة، ولا توجيهاً تربوياً ناجحاً، ولا مجتمعاً يشغل أوقاته بما ينفع.

ولعل من الأسباب التي ساعدت على انتشار هذه الأشرطة ما يلي:

١ ـ غياب الرقابة الفعالة على محلات بيع أشرطة الفيديو مما شجعها على التوسع في جلب الأفلام المثيرة.

٢ ـ الهدف لغالب تلك المحلات تجاري بحت مما يجعل القائمين عليها لا يهتمون للآثار السلبية لتلك الأفلام مقابل اهتمامهم بالربح المادي.[2]

---

(١) دراسة «الشباب في الكويت» الديوان الأميري

(٢) ذكر وزير التجارة الكويتي في مقابلة مع جريدة القبس في ٨٨/١٢/٢٥ أنه تم اصدار ٢٠٠ رخصة لمحلات الفيديو كاسيت خلال يوم واحد..!!

٣ ـ الدعاية الجذابة والإعلانات المثيرة والتسهيلات الكثيرة التي تجذب الشباب لتلك الأفلام.[1]

ولإدراك الأبعـاد الخطيرة لتلك الظاهرة لنستعرض ما قاله فئة من الشباب الذين يشاهدون تلك الأفلام الخلاعية وذلك في تحقيق صحفي أجرته جريدة «الأنباء» في ٨٧/٨/١٣.

* قال أحدهم:

«في إحدى المرات وجدت في مكتبة والدي فيلم جنس فأخذته وسجلته وأرجعته إلى مكانه دون أن يعلم أحد..!

أما بالنسبة لوالدتي فكل همها الفلوس، وهي من النوع الذي يتفاخر بإرسالنا إلى مدارس داخلية في العطلة الصيفية».

* وقال آخر:

«أما بالنسبة لظروفي الاجتماعية فقد فتحت عيني على الشجار والضرب والصراخ والعنف بين أمي وأبي. والدي مدمن على الخمر وكل يوم يأتي في منتصف الليل مترنحاً مما يثير غضب أمي المسكينة التي تخاف علينا وعليه، تريده أن يكون زوجاً وفياً مخلصاً مهتماً بأولاده كسائر خلق الله... أما أبي فكل همه السهر والسكر والنساء».

* م.س ـ يبلغ من العمـر ٢٠ عاماً.. يقول «أن السبب الذي شدني لرؤية الأفلام الممنوعة هو الفراغ الذي أعيش فيه وعدم وجود مكان أقضي فيه وقت فراغي.. ومنذ أن كنت في المرحلة الابتدائية وأنا أعرف «شلّة» لاأزال أرتبط معها بصداقة حميمة..!

أما بالنسبة لأهلي فهم لا يعرفون إلى أين أذهب، وماذا أعمل؟ والدي تاجر، وكل وقته يقضيه في عمله، وأمي كل همها «الكشخة» والسيارات والأثاث والديكور..!!»

* وقال ب.م يبلغ السابعة عشرة من عمره:

«وأول مرة شاهـدت فيهـا مثـل هذه الأفـلام كان منـذ سنـين، حيث كنت في زيارة لأحد أصدقائي، وكان في غرفته فيديو فقام بتشغيل فيلم.. وبعدها تعودت على رؤية هذا النوع من الأفلام».

---

(١) آخر هذه الصرعات هي خدمة توصيل أشرطة الفيديو للمنازل مقابل اشتراك شهري مغر.

ثم يصف حاله قائلا:

«أسرتي مفككة جداً. . والدي مشغول بتجارته ووالدتي أيضاً كذلك. منذ أن فتحت عيني على الدنيا وجدت نفسي في أحضان المربيات[(١)] والمدارس الداخلية. . والداي لا أراهما إلا في المناسبات. . والدي لا يعرف عنا شيئاً سوى أننا أولاده فقط، وكل وقته يقضيه في الخارج».

* أما الخامس فيلقي بعداً جديداً للموضوع فيقول:

«نحن نعيش في ظل حياة مادية بحتة. . الكل يجري فيها وراء المظاهر. . وهذا جعلنا نتصرف ونلهو ونعمل ما نشاء. . نمارس الخطأ ونحن نعرف أنه خطأ».

* بل إن الأمر لن يقف عند هذا الحد بل سيدفع الشاب إلى ارضاء نزواته بأي وسيلة ولو أدى ذلك إلى الإعتداء على أعراض الآخرين وهذه احدى النتائج المروعة، فقد ذكر ١,٢٤٪ من مرتكبي جرائم هتك العرض في عام ١٩٧٦ في الكويت أنهم شاهدوا عروضا سينمائية جنسية في أماكن خاصة[(٢)].

وأخيراً. . ألا تستحق هذه الظاهرة الخطيرة وقفة جادة من المسؤولين والآباء والأمهات. . ليوقفوا هذا الوباء الفتاك الذي أخذ يهلك زهرة المجتمع وفلذات أكبادنا. . . ؟ ألا فليعلم كل مسؤول في مؤسسات التربية. وأجهزة الإعلام. . . وأجهزة الرقابة. . . والأسرة أنه واقف بين يدي الله مسؤول عن انحراف كل شاب وشابة كان هو سبباً لانحرافه سواءً أكان ذلك بسوء نية أو بإهمال أو بسوء تقدير للعواقب. . .

فليعد لهذا السؤال جواباً. . . !

المعوق الثاني:

حركة التغريب

الدين مصدر الأخلاق والانحراف عن الدين يتبعه بالضرورة انحراف خلقي،

---

(١) لادراك الأبعاد الأخلاقية الخطيرة لظاهرة الخدم يمكن الرجوع إلى دراسة أجرتها وزارة التخطيط عام ١٩٨٣ وأخرى لوزارة الداخلية عام ١٩٨٨.

(٢) دراسة «أثر العوامل الاجتماعية وقانون الجزاء في انتشار جرائم هتك العرض في الكويت»

وقد بدأ الانحراف الخلقي الأوروبي عندما اتجهت النهضة الحديثة اتجاهاً مادياً لا دينياً، وعندما أصبحت الأخلاق خاضعة لمعايير الفلسفة فأصبحت مثلاً معلقة في الفضاء.

وعندما ظهرت فيها «الميكافيلية» بأن الغاية تبرر الوسيلة وأصبحت هي قاعدة السلوك الغربي كله، وعندما تمكنت الرأسمالية المادية من استغلال البشر الاستغلال البشع لخدمة المادة، وعندما انفصل السلوك الجنسي عن القضية الأخلاقية بهدي التفسير الحيواني للإنسان عند «داروين» والتفسير الجنسي للسلوك عند فرويد[1].

. . . وبهذه المبادىء الضالة. . بدأ ويالللأسف بعض من بني جلدتنا ممن تربوا في أحضان الغرب ورضعوا من لبنه (المخالف للفطرة). . ينادون «بمرض» التقليد والتبعية الفردية والجماعية للغرب في طريق الحياة الشخصية وأسلوب الحكم والمناهج التربوية والفكر الاقتصادي وفي أساليب الحياة الاجتماعية وكان مما دعوا إليه:

١ ـ الترويج للفن والفنانين وصرف هموم الأمة إلى أولئك سواءً كانوا ممثلين أو مغنيات أو راقصات، وتتبع حتى التوافه من أخبارهم، والدعوة لإحياء حفلات الرقص الغربي المختلط.

٢ ـ تحرر المرأة وتبرجها ومطالبتها بالخروج سافرة متزينة بحجة مشاركة الرجل «الظالم لها» ومن دعاتها قاسم أمين. بل والترويج لمذهب العري (الذي دعت إليه مجلة الهلال ١٩٣١).

٣ ـ الدعوة لإقامة المسابقات العديدة كمسابقات الجمال ومسابقات جمال السيقان. . . ! وعروض الأزياء المختلفة ومسابقات الفنون الجميلة التي كانت الفتاة تقف فيها عارية أمام الشاب بحجة رسمها في مواضع مختلفة.

٤ ـ الدعوة لحرية الفن وكسر القيود أمامه ومن دعاتها طه حسين[2].

٥ ـ الدعوة إلى أن العالم لا يحتمل إلا مدنية واحدة وحضارة واحدة وهي الحضارة الغربية ومن دعاتها أحمد أمين في «السياسة» الأسبوعية ومنها نشأت فكرة أن المسلمين لن يتقدموا إلا بالحضارة الغربية.

---

(١) بتصرف من كتاب «الشباب المسلم والحضارة الغربية». حسن حسن سليمان

(٢) الشباب المسلم والحضارة الغربية. حسن حسن سليمان.

ـ وإذا أردنا أن نتعرف على منابع تلك الأفكار الهدامة وعلى حقيقة دوافع حركة التغريب في هدم الأخلاق لنستعرض معاً الأقوال التالية للغربيين:

- يقول أحد أقطاب هؤلاء المستعمرين: «كأس وغانية تعملان في الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات».
- وقال القس «زويمر» في مؤتمر المبشرين:

«.. إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الجديد الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه في دنياه إلا في الشهوات فإذا تعلم فللشهوات وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات».

هذا دور النصارى أما اليهود (أسياد الدمار الأخلاقي) فإليكم ما يقولون في البروتوكول التاسع:

«وقد تمكنا من تضليل غير اليهود وإفسادهم خلقياً، وحملهم على البلادة عن طريق تعليمهم المبادىء التي نعتبرها نحن باطلة على الرغم من إيحائنا بها».

ـ ويقولون أيضاً في البروتوكول الثالث عشر: «ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا، سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي والألعاب وهلم جرّا... وسرعان ما نبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة».

ـ ومما جاء في هذه البروتوكولات ما يلي:

«يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا. إن فرويد منا، سيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه»[1].

ـ وتأتي «الماسونية» كإحدى أخطر الحركات الهدّامة في العالم الإسلامي، والتي

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام ـ عبدالله علوان

جعلت من نشر الإنحـلال الخلقي وسيلة لتحقيق أهـدافهـا المشبوهة والتي يمكن أن نوجزها فيما يلي :

١ ـ محاربة الدين الإسلامي وإبعاد الشباب المسلم عن مواصلة تعاليمه الدينية والدعوة للتغريب.

٢ ـ نشر الإنحلال الخلقي من خلال الوسائل الإعلامية واستخدام الجنس والموضوعات الجنسية، فالجنس هو أقصر الطرق لمحاربة العقيدة الإسلامية، وإن أقصر الطرق المؤدية للجنس هو كلمـة «حب» لذا كان الاهتمام الواضح بالمسرحيات والأفلام العاطفية ونشر القصص الغرامية.

٣ ـ تشجيع تجارة الخمور والمخدرات مع التظاهر بمحاربتها.

٤ ـ السيطرة على وسائل الإعلام وخاصة الصحافة لتضليل الجماهير وإقامة المسابقات والحفلات الغنائية.

٥ ـ الحط من شخصية علماء الدين الإسلامي وخاصة رجال الأزهر، ومهاجمة الجماعات الإسلامية ومناصبتها العداء.

٦ ـ تشجيع اللغة العامية.

٧ ـ تشجيع التنظيمات السرية الماسونية وأنديتها المعروفة باسم «الروتاري» و«الليونز»[1].

هذه بعض الأهداف الرئيسية للماسونية العالمية وما على القارىء إلا أن يتمعن بها ثم لينظر حوله وليرى ما يدور فعلاً في بلادنا الإسلامية.

---

(١) الأستاذ كامل الشرقاوي. جريدة القبس ١٩٨٨/٦/٣.

المعوق الثالث:

حركة استعباد (تحرير) المرأة

للمرأة موقع خطير في المجتمع المسلم، فهي الأم التي تربي الأجيال وهي الزوجة التي تشارك الرجل في كفاحه وجهاده، وهي الأخت التي تسانده وتواسيه، وهي الإبنة التي تحنو عليه وترعاه.

وقد أدرك أعداء الإسلام هذه المكانة الخطيرة للمرأة فقال د. مدروبيرغر: «إن المـرأة المسلمة هي أقدر فئات المجتمع الإسلامي على جرّه إلى التحلل والفساد أو إلى حظيرة الدين من جديد»[1].

لذا فقد برزت مظاهر ذلك المكر الغربي تجاه المرأة في الأشكال التالية:[2]

١ ـ محاربة العفة والطهارة عبر القصائد الشعرية والقصص والروايات والأغاني.

٢ ـ محاربة الحجاب من خلال الفيلم والمسلسل الذي يبرز الحجاب والمتدينين في صور سلبية.

٣ ـ عمـل الاستعـراضات الراقصة التي تضم عدداً كبيراً من الفتيات ومحاولة إشراك المحجبات فيها أو إغرائهن بنزع الحجاب في فترة الحفل إلى آخر الخديعة.

٤ ـ محاولة إغداق المكتبات العربية والإسلامية بالمجلات التي تتحدث عن الموضوعات والأزياء الغربية وآخر التقليعات العالمية النسائية، ومن أمثالها: نورا ـ سيدتي[3] ـ الرشاقة ـ سمر ـ الحسناء... إلخ.

٥ ـ تأسيس جمعيات نسـائية جديدة ذات اتجـاهـات غير واضحة والحرص على ضم المحجبات إليها لصرفهن عن طريق الدعوة الإسلامية الصحيح.

٦ ـ مسابقات ملكات الجمال في الدول العربية والإسلامية ورصد الجوائز المالية للفائزات

---

(١)،(٢) مجلة المجتمع.

(٣) لمعرفة الدور المشبوه لهذه المجلة أنظر مجلة المجتمع عدد ٨٦٦.

والتي تنزع عن حواء المسلمة ثياب الإيمان والتقوى وتغويها باتباع الهوى وشياطين الجن والإنس.

- ولعل من أخطر القضايا التي تساهم فيها المرأة كسبب من أسباب الإنحراف هي:

*** الظاهرة الأولى:**

الاختلاط والصداقة مع الرجل:-

عفاف المرأة هو سترها وحياؤها وصونها ولذلك فقد حرص الإسلام على تلك الركائز في تربيته للمرأة المسلمة.

قال تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ - النور ٣١ -.

وقال تعالى: ﴿**وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾ - الأحزاب ٥٣ -.

وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فإن ثالثهما الشيطان**»[1] بل في أقدس الأماكن وفي أطهر الأعمال وهي الصلاة جعل الإسلام صفوف النساء خلف صفوف الرجال، وحبب للرجال التقدم في الصفوف وللنساء التأخر، فمتى ما تخلت المرأة عن إحدى هذه الركائز فقد هتكت سترها وبدأت بجر المجتمع إلى ويلاتها.

وميادين الاختلاط والتي للأسف ظهرت في مجتمعاتنا عديدة منها:

١ - في بيوت الأقارب والأصدقاء:

حيث تجالس الفتاة أو المرأة المتزوجة الرجال الأجانب بحجة الصداقة لزوجها أو للعائلة أو القرابة، وتتزين لذلك بكامل زينتها طالما الأمر مقبول لدى الجميع وأصبح عرفاً (فاسداً) متعارفاً عليه، وقد تحدث الخلوة أحياناً تحت ظل تلك الثقة وسقوط الكلفة كما أن الملامسة والمصافحة من مباحات تلك الصداقات، وكم من خطيئة ارتكبت وأعراض هتكت وأسر تهدمت من جراء هذا الاختلاط.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٣٩) والنسائي (١/١٦٣) وصححه الحاكم (٤/٢٨٨).

٢ ـ الاختلاط في أماكن العمل

ففي ظل دعوى الزمالة والصداقة وحرمة العمل الوظيفي تبدأ المرأة بمجالسة الرجال لقضايا العمل ثم للقضايا العامة ثم تبدأ الأحاديث عن الحياة الشخصية لكل منهما، ثم يبدأ الاستلطاف والضحك والابتسامات المتبادلة فالتهادي و. . . و. . . إلى أن يتم اللقاء خارج العمل (كل ذلك في ظل زمالة العمل) ثم اللقاء في بيت أحدهما. . . إلى أن تحدث الكارثة. . !!

هذا فضلاً عما يحدث أحياناً من علاقات آثمة في مواقع العمل.

إن للمرأة حياءً وستراً. . . متى ما أسقطته فقد أباحت نفسها، ولا يعني ذلك أن كل علاقة عمل ستنتهي بعلاقة آثمة أو بالزنى ـ معاذ الله ـ ولكنها بلاشك أحد الأسباب المؤثرة والعوامل الدافعة لذلك خصوصاً للمرأة التي لم تتحصن بلباس التقوى والعفاف، وهذه إحدى القصص المؤلمة:

يقول صاحب المأساة[1]:

«بعد عامين من زواجي، ألحّت عليَّ زوجتي بأن تعمل من أجل أن نحيا حياة أفضل، رفضت في بادىء الأمر، وعملت مربية في أحد معاهد دمشق براتب بسيط جداً وبعد عام ركب الغرور رأسها، طالبة أن تعمل في الوزارات أو في مؤسسات الدولة. قنعت بذلك لثقتي بأخلاقها وشدة حرصها على سمعتها وكرامتها ولأنها أم لطفل صغير. ولم تمض بضعة أشهر على عملها في مؤسسة ما حتى حدثت المأساة الخطيرة التي لم تكن في حسباني. ماذا حدث؟

حدث أن طارت الزوجة مع زميل لها في العمل عندما زين لها فكرة الهرب، وسلب رشدها بمعسول الكلام فكان له ما أراد.

طارت معه أياماً وليالي لتذر زوجها الذي وثق بأخلاقها مشدوهاً أمام هول الكارثة التي حلت بالأسرة الهادئة غير آبهة بطفلها الصغير الذي كان موضع عنايتها واهتمامها ولا بمصيره الأسود الذي ينتظره من جراء فعلتها النكراء لقد فرت الزوجة من دارها لتتمتع بلذة الحياة الدنيا في كنف شاب وضيع وسوس لها، فأرادت أن تمرح بالشهوة الرخيصة إلى جانب شيطانها، فخسرت لذائذ الدنيا السامية في الدار والزوج والولد، ولم يدر في

(١) المرأة بين الفقه والقانون. مصطفى السباعي رحمه الله.

خلدها أن المرأة التي تهرب من عشها المقدس إنما هي امرأة عاهرة القلب فاسقة العقل فاجرة الضمير. . »

ومن الأدلـة الـدامغة على ضرر الاختلاط في العمل ما جاء في كتاب «الابتزاز الجنسي» حيث أوردت مؤلفته «لين فارلي» الحقائق التالية:[1]

- استجـوبت ٨٧٥ من السكرتيرات العاملات في الأمم المتحدة عن الابتزاز الجنسي فأجابت ٥٠٪ منهن بأنهن تعرضن للمضايقات والاعتداءات الجنسية.
- استجوبت ٣٣٣ شرطية فأجابت ٥٠٪ منهن بأنهن تعرضن للاعتداءات الجنسية من رؤسائهن، وأن من لا ترضخ لرئيسها في هذا الأمر تتعرض لعقوبات مختلفة .

٣ ـ الاختلاط في أماكن التعليم والدراسة:

يدّعـون بأن الاختـلاط في مقاعد الدراسة هو «الاختلاط البريء» والاختلاط الهادف المثمر وهذه الشعارات ما هي إلا ادعاءات باطلة من وجهين:

الـوجـه الأول: فيهـا مصادمة واضحة للفطرة التي خلق الله الخلق عليها وهي فطرة التجاذب بين الجنسين، فميل الرجل للمرأة وميل المرأة للرجل هو قانون إلهي اقتضته حكمة الله، فكيف لنا أن نأمن اندفاع ذلك التجاذب عن حدوده الشرعية. . ؟ وبصفة خاصة لدى الشباب الذي يسير بعواطفه الجياشة؟ وفي ظل هذه المجتمعات التي تدعو للفتنة وتهيج الغرائز، كيف لا. . . والله تبارك وتعالى علل حرمة الاختلاط بين أطهر الـرجـال، وهم صحابة رسول الله ﷺ وأطهر النساء، زوجاته أمهات المؤمنين، بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾.

وقد اعترفت احدى طبيبات الغرب وتدعى د. «ماريون» فقالت: «وإني اعتقد أنه ليس في الامكان قيام علاقة بريئة من الشهوة بين رجل وامرأة ينفرد أحدهما بالآخر أوقاتاً طويلة، وكنت أسأل بعضهن ممن يتسمن بالذكاء، كيف أمكن أن يحدث ذلك؟ ـ أي الوقوع في الفاحشة ـ فكانت الفتاة تجيبني قائلة: «لم استطع أن اضبط نفسي. . »[2].

الوجه الثاني: التجربة والواقع يصرخان بفشل هذه المقوله[3]، ألا يكفينا ما وصلت إليه

---

(١) (٢) المرأة ماذا بعد السقوط. بدرية العزاز

(٣) أوصت لجنة جامعية عليا في جامعة القاهرة مؤخراً بالغاء الاختلاط بين الطلبة والطالبات وجاء ذلك في أعقاب مقتل طالبة على يد زميل لها بعد قصة حب. . . فيا ليت قومي يعلمون. . !!

الحال في الغرب فقد أعلن أستاذ الحياة العائلية في جامعة أوريغون اليوم أنه يستنتج ما يلي من اتصاله الدائم بطلاب الجامعات وطالباتها والعمل معهم مدة ٣٠ عاماً بصدد مشاكلهم وتجاربهم الجنسية:

١ - ليس لدى طلاب الجامعات وطالباتها فكرة واضحة عن (القاعدة الخلقية) بصدد الأمور الجنسية.

٢ - نسبة الممارسة الجنسية بينهم عالية جداً وفي ارتفاع مطرد.

٣ - يقرر كل شاب وشابة بنفسيهما المدى الذي يجب أن تتوقف عنده علاقاتهما الجنسية غير مكترثين بالمبادىء التي حددها المجتمع القديم[١].

ولكي ندرك أبعاد هذه الظاهرة في المجتمع الكويتي نشير إلى نتائج إحدى الدراسات التي أجريت على ٣٧٣٩ شاباً وشابة عام ١٩٨٥ حيث بلغت نسبة الشباب الذي يسعون لتكوين علاقة مع الجنس الآخر عند الكويتيين وغير الكويتيين ٥١٪ و٢٥٪ وعند الذكور والإناث ٤٠٪ و٤١٪ على التوالي وهي نسب عالية[٢]. أما المجتمعات الغربية فهذه بعض الحقائق:

● نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية الأميركية بلغت في إحدى المدن ٤٨٪.

● كما نقلت جريدة الأحد اللبنانية في العدد ٦٥٠ «دلت الاحصائيات في العام الماضي على أن ١٢٠ ألف طفل أنجبتهم فتيات بصورة غير شرعية لا تزيد أعمارهن عن العشرين وأن كثيرات منهن من طالبات الجامعات والكليات». ونقلت عن المربية الاجتماعية (مرغريت سميث) حديثاً قالت فيه: إن الطالبة لا تفكر إلا بعواطفها والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة، إن أكثر من ستين بالمائة من الطالبات سقطن في الامتحانات، وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن، وأن ١٠٪ منهن مازلن محافظات[٣].

٤ ـ الاختلاط في أماكن الترفيه والأسواق:

ففي أجواء الترفيه والأنس والضحكات وتسكع بعض الشباب اللاهث وراء المتعة وإلقاء الشباك على الفتيات تحدث ظاهرة خطيرة وهي ظاهرة التعرف السريع والإعجاب

---

(١) «الزنا» دندل جبر.

(٢) «الشباب في الكويت» الدراسة الثانية. جهاز الدراسات والبحوث الاستشارية. الديوان الأميري.

(٣) «إلى كل أب غيور». عبدالله علوان

من النـظرة الأولى وتبادل أرقام الهواتف وهكذا. . . تبدأ شياطين الإنس والجن بنسج الشباك حول الفتاة المسكينة التي تقدم خطوة وتؤخر خطوة في تجربتها الأولى ولكن. . . أوهـام الشياطين والكلمات المعسولة وإذا ساء حظها مع صحبة فاسدة تشجعها فتبدأ بالتجـربـة الأولى. . . كلام في الهاتف. . ثم موعد خارج المنزل لتبادل النظرات من بعيد. . فاللقاء معاً في مكان عام. . . ثم اللقاء في مكان خاص. . فالطامة الكبرى والوبال عليها بعد ذلك.

لذا فإنه من الأهمية بمكان أن توجد البيئة المحافظة في أماكن الترفيه وحسناً ما تفعله بعض الجهات من تخصيص أيام للعائلات وأيام للشباب، ولا ينبغي أن يسمع لادعاءات البعض بإجحاف هذا القرار لفئة الشباب، فلا أظن أنه يوجد شاب رزين صاحب غيرة يرضى أن يدخل شاب ليعاكس أخته أو والدته. . وحسناً ما تفعله بعض البلاد الإسلامية من إنشاء أسواق خاصة للنساء بالبائعات والموظفات والعاملات.

وحسنـاً ما تفعله بعض الاتحـادات الـطلابية والجمعيات باشـتراط المحـارم في السفرات الجماعية وإعداد البرامج الترويحية التي تحقق أهداف الترويح عن النفس دون مساس بالشرف والعفة.

٥ ـ الاختلاط في الرياضة والمسابقات:

لم يخطر ببـال أحد أن يتغلغل هذا النمط الغريب في مجتمعاتنا، وهي الرياضة المختلطة التي تشارك فيها الفتاة مع الشاب، وتمارس رياضة الجري. . وكرة الطائرة. . وكـرة السلة وبلبـاس الـرياضة طبعاً. . بل بلباس الشورت[١] أحياناً. ولكنها سياسة الخطوة. . الخطوة التي ينتهجها بعض الذين خمدت غيرتهم ولم ترض نفوسهم لهذه البلاد أن تظل في لباس الطهر والعفاف والستر فأصروا بحجة المناسبات الوطنية وروح الأسرة الواحدة أن يخرجوا الجرائر من سترهن. . . !

وأخيراً فإن السكوت على هذه الظاهرة جعلها تتطور بشكل مخيف:

ـ فأصبح من السهولة لكل شاب أن يتعرف على الفتيات.

---

(١) للأسف الشديد أن تنظم وزارة الشئون الكويتية مهرجاناً رياضياً مختلطاً بمناسبة العيد الوطني في ١٩٨٨/٣/٤ وظهـرت علينا بعض الفتيات باللباس الرياضي على شاشات التلفاز. فمن كان يتصور ذلك؟؟!

ـ وأصبح من المألوف أن تخرج الفتاة من البيت دون رقيب وتلتقي بمن تشاء.
ـ ظهرت اللقاءات الخاصة في الشقق والأماكن المظلمة التي مورست فيها الرذيلة.

وأخيراً فإننا نضم صوتنا للكاتبة الفاضلة عائشة عبدالله جاسم في كتابها: «فلنكن صرحاء يا دعاة الاختلاط»[1] حيث قالت:

«أما دعاة الاختلاط في بلادنا فإنهم يريدون أن يزحفوا بالمرأة المسلمة إلى هاوية الفساد والانحطاط...

إنهم يسعون إلى القضاء على شخصية المرأة المسلمة وتذويبها إنهم يسعون إلى اجتثاث جذور الاستقرار والإطمئنان من مجتمعاتنا..

من الذي يخطط لإفساد بلادنا وتغريبها؟ إن هناك شخصيات مسؤولة هابطة في بعض الجامعات تحاول أن تزرع فكرة الاختلاط في عقول الطلبة والطالبات...

فإذا حل الاختلاط في مبنى معين أو مؤسسة معينة أخذوا يغلفون نتائج مخططاتهم ويضحكون على شعوبهم فيقولون: «الاختلاط حتمية» و«الاختلاط ضرورة»..

.. إننا نحن المؤمنين ندعوكم بكل صدق إلى مراجعة ملفاتكم وإعادة النظر في دعواكم.. إننا ندعوكم أن تكونوا علميين إذا كنتم لا تريدون أن تكونوا إسلاميين في تصوراتكم وتصرفاتكم، إنكم ستكتشفون أنها غربية المنشأ وعلمانية المحتوى واستعمارية التصدير ويهودية الترويج..

لقد ظن الغربيون أن الاختلاط سيقود إلى تحرر الشعوب وتقدمها ففوجئوا بالعكس[2].. فلقد تبين لهم بأن الاختلاط ظاهرة اجتماعية مرضيّة (فأخذوا يصرخون ويطلقون صيحات الندم ونداءات الخطر ولكن فاتت ساعة الندم).

إننا نناشد المسؤولين المخلصين في بلادنا والغيورين على دينهم أن يقفوا في وجه هذه التيارات ويصدونها، فبلادنا أمانة في أعناقهم.. فليتقوا الله في هذه الأمانة وليعلم كل مسؤول ساهم في ترويج الاختلاط أو الوقوف معه أن كل مأساة أو خطيئة تنجم عنه فإن عليه وزرها وسيسأل عنها أمام الله.

---

(١) بتصرف
(٢) أشارت بعض الدراسات مؤخرا إلى فشل التعليم المختلط في المدارس البريطانية وبدأت صيحات هناك تنادي بنظام التعليم المنفصل.

* **الظاهرة الثانية: التبرج والسفور:**

وهي قرينة لظاهرة الاختلاط، بل إنها من العوامل المساعدة على ترويج الانحراف وزيادة حدوثه.

والتبرج هو مخالفة لما أمر الله به المرأة من الصون والستر والحجاب، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ ولكن دعاة التبرج نصبوا أنفسهم آلهة من دون الله، فأحلوا التبرج واحيوه في شريعتهم.. ثم شرعوا لذلك وسائل وأحكاماً:

- اللباس الفاضح والعاري الذي يكشف عورات المرأة ويجسدها كما ذكر الحديث: «... **كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها..**» رواه مسلم -.
- الشعور المستعارة والتسريحات والموديلات في وسائل الزينة والتبرج.
- العطور التي غالباً ما تصاحب الإعلانات التجارية فهي تبين مدى تأثير العطر في كسب واصطياد الرجل..!!

ومن الآثار اللاأخلاقية للتبرج والسفور:[1]

١ - إن كشف العورة بذاته سبيل لهدم الأخلاق والوقوع في الفاحشة فكيف إذا صاحبه التزين والتبرج..؟! لاشك أن في ذلك تحريكاً لشهوات الرجال وباعثاً لإثارتهم وكم من الجرائم الأخلاقية التي انتهكت فيها الحرمات كانت بعد تتبع وتصيد ثم اختطاف لتلك الفتيات المتبرجات.

٢ - إن المرأة التي خلعت ثياب الستر والعفة قد أعطت لنفسها صفة المرأة المستهترة بالقيم الأخلاقية ولو أقنعت نفسها أنها لم تتبرج لذلك الغرض وبالتالي فإن انتشار هذه الظاهرة يعطي انطباعاً عاماً من المجتمع بأنه مجتمع غير محافظ بها يُولد فيه الانحرافات العديدة.

٣ - ضرر التبرج لا يقع على الفتاة فقط بل إن كل رجل يراها ويطيل التأمل فيها يكون قد جرته لانحراف مهما ظن أنه صغير، وهذا ما يولّد ظاهرة المعاكسات وملاحقة

(١) مجلة المجتمع عدد ٨٦٤

النساء من قبل الشباب المستهتر ومن هنا ندرك معاني الحديث الشريف: «**أي امرأة خرجت من بيتها وهي متعطرة ليجد الناس ريحها فهي زانية**» .[1]

٤ ـ جرت هذه الظاهرة إلى بروز ظاهرة تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال.

لذا جاء حكم الله تعالى حازماً لسد تلك الذرائع، فنهى عن التبرج وحذّر منه كأحد أمور الجاهلية ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ ونهى عن إبداء الزينة ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ إلا للأزواج والمحارم.

ومن هنا ندرك أن الحجاب الذي أمر به الإسلام هو عنوان العفة للمرأة وطهارتها ودليل على أنها من المؤمنات اللواتي امتلأت قلوبهن بالإيمان ونبذ منها كل مدخل للشيطان يقول تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ ـ الأحزاب ٥٩ ـ.

ومعنى أن يعرفن فلا يؤذين أي يعرفن من لباسهن هذا وحجابهن والتزامهن جانب الحشمة والأخلاق أنهن حرائر عفيفات لسن عاهرات مستهترات كمن خلعن عن أنفسهن ثياب الأخلاق عندئذ لا يجرؤ أحد على إيذائهن إذا عرفهن من حجابهن .

وأخيراً ـ فإن الحجاب هو حجاب معنوي وحسي في آن واحد بمعنى أنه ليس غطاء للرأس فقط كما يظن البعض بل قبل أن ترتدي المرأة حجابها الجسمي لابد أن ترتدي معه العفة والحشمة والحياء والطهر والخوف من الله أما أن تغطي المرأة جزءاً من شعرها ثم تضع الزينة في وجهها وتتعطر بأحسن العطور وتضيق ثوبها وترفعه عن قدميها ثم تحادث الرجال وتخالطهم وتضاحكهم فهذا هو التبرج بعينه وليس ذلك هو الحجاب الذي أمر الله به.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٢٦٩٨

المعوق الرابع: ضعف التربية الأسرية:

* الأسرة هي المحضن الذي يتربى فيه الفرد ويتلقى فيه القيم والأخلاق والسلوك، وتصاغ شخصيته من خلال هذا المحضن.
* ولأهمية الدور التربوي للأسرة فقد أكد الإسلام على دور الوالدين تجاه تربية الأبناء ورعايتهم وتوجيههم ومراقبتهم وحفظهم وإرشادهم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ ـ التحريم ٦٤ ـ وقال رسول الله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. .**» ـ متفق عليه ـ.
* لذا فإن أي تقصير في قيام الأسرة بدورها التربوي ستكون له عواقب وخيمة على سلوك الأبناء وغالباً ما ينحرف الأبناء بسبب تخلي الأسرة أو إخفاقها في أداء هذا الدور، وقد وصل التقصير لدى بعض الأسر وللأسف أن الابن يسافر ويغيب عن بيته أياماً عديدة ويعود ولا يُسأل، بل وصل الأمر إلى سفر الفتيات لوحدهن أحياناً دون رقيب.

قال أحد الشباب المدخنين في تحقيق لجريدة السياسة في ٤/١١/٨٧: «إن أولياء أمورنا هم المسؤولون بالدرجة الأولى فأنا لم أرَ والدي يسألني أين أذهب ومع أي شخص أمشي وحتى لو علم بأني أدخن فلا يعمل شيئاً وقد وصل الإهمال عند أولياء أمري لدرجة أني سافرت في العطلة إلى مصر وجلست هناك ١٥ يوماً وعندما رجعت لم يسألوني من أين جئت؟».

وقال الأستاذ فيصل الزامل في جريدة القبس: «حدثني صديق شهد ثلاث فتيات مراهقات في مركز النويصيب يردن السفر لوحدهن إلى البحرين فلما أفهمهن المسؤول أن هذا لا يمكن وحدهن قالت له إحداهن تعال معنا. . . !! فهز المسؤول رأسه والتفت إلى صديقي قائلا: (لا حول ولا قوة إلا بالله. . . وين أهلهم)».

ولتوضيح هذه الحقائق بصورة علمية، لنستعرض بعض ما جاء في دراسة لإدارة البحوث الاجتماعية والجنائية لمجلس الوزراء عن «الأسرة وانحراف الأحداث» التي تمت على نزلاء سجن الأحداث ودار التربية للشباب في منتصف عام ١٩٧٨، وهذه بعض نتائج تلك الدراسة، التي اتضح منها أن الحدث الذي يعيش في ظروف أسرية جيدة

يكون أقرب إلى الاستقامة من الحدث الذي يعيش في ظروف أسرية صعبة تعاني فيها الأسرة من التفكك أو انعدام السلطة وعلى التفصيل:

١ ـ في دار التربية اتضح أن ٢٤,٤٪ من أسباب انحراف الأحداث تعود إلى الأسرة وهي إما بسبب عدم اهتمام الأسرة أو عدم وجود مأوى مناسب أو بسبب وجود مشاكل دائمة في الأسرة أما في سجن الأحداث فكانت نسبة دور الأسرة ١٣,٥٪.

٢ ـ اتضح أن ٨١,٨٪ من جملة الأحداث كانت الأسرة على علم بما قاموا به من انحراف وأن ١٥,٢٪ لم تكن الأسرة على علم وكلا النتيجتين يرجع إلى عدم وجود الرقابة الأسرية الفعالة والضبط السلوكي للأبناء، أما في سجن الأحداث فكانت ٣٦,٨٪ من الأسر على علم، ٦٣,٢٪ لم تكن الأسرة تعلم.

٣ ـ أما عن موقف الأسرة من الانحراف فإن اللامبالاة كانت بنسبة ٧,١٪ بينما أعلى نسبة كانت ٤٥,٢٪ لموقف التأنيب والمعايرة، أما الضرب أو التهديد بالضرب فكانت نسبته ٤,٨٪ وكل هذه المواقف تنم عن غياب الدور التربوي في المعالجة لسلوك الأبناء. وفي سجن الأحداث ٥٧,١٪ من الأسر اتبعت أسلوب المعايرة، ٣٣,٣٪ من الأسر اتبعت أسلوب الضرب والتهديد، ٤,٨٪ من الأسر وقفت موقف اللامبالاة.

٤ ـ اتضح أن صور التقصير في دور الأسرة التربوي يظهر في الأمور التالية:
أ ـ عدم الاهتمام بالأطفال بدنياً وخلقياً.
ب ـ القسوة.
جـ ـ التذبذب في معاملة الطفل.

٥ ـ اتضح أن الأحداث بدار التربية ٥٧,٦٪ منهم الوالدين لا يعيشان معاً. ويشكل السبب بوفاة الأب ٥٢,٦٪ منهم بينما الافتراق بالطلاق بين الوالدين كان بنسبة ٣١,٦٪ كما يؤكد على أهمية الاستقرار الأسري في شخصية الحدث واستقامته وفي سجن الأحداث كانت نسبة من لا يعيش والدهما معاً ٣٣,٣٪ ونسبة الطلاق منها ٣٦,٩٪.

٦ ـ حول تأثير الازدحام في السكن على سلوك الحدث اتضح أن التأثير في عدة نواح:
أ ـ الناحية الجنسية: باختلاط الجنسين في حجرة واحدة وضعف المحافظة على آداب

اللياقة وتفقد الفتاة حياءها لاضطرارها لخلع ملابسها أمام الآخرين، وكذلك يصعب على الزوجين إخفاء المعاشرة الجنسية تماماً فينتبه الصغار لهذه المسائل مبكراً، وقد تحدث بعض الممارسات الشاذة.

ب ـ الشجار والنزاع.

جـ ـ الازدحام والتوجه للتشرد: وتشجيع الوالدين للأبناء للخروج من المنزل.

* ومن الظواهر الخطيرة التي برزت في مجتمعاتنا مؤخراً كنتائج لضعف التربية الأسرية:

(١) ضعف التعايش والتقارب والتآلف بين أفراد الأسرة، وشعور كل فرد بأنه في عالمه الخاص فالأب في تجارته والأم في زياراتها والأولاد في شئونهم الخاصة.

(٢) ضعف الأداء التربوي للوالدين وغياب الدور الرقابي والتوجيهي لهما على الأبناء، بل وكأنهما أسلما أبناءهما لأجهزة الاعلام وغيرها من المنتديات للقيام بهذا الدور نيابة عنهما.

(٣) الاستقلالية المبكرة للأبناء، ففي حين كان الابن قديما يمكث تحت رعاية والده حتى بعد زواجه وكانت الأسر مشهورة بكثرة عددها وهيمنة الأب أو الجد على أفرادها، أصبحنا نجد أن هذه الاستقلالية والتفلت ـ بتعبير أصح ـ تحدث في سن مبكرة، حتى قبل المراهقة أحيانا، والأخطر في هذا الأمر هو تفلت الفتيات وخروجهن وفق رغباتهن دون مساءلة من الوالدين.

(٤) بروز ظاهرة المربيات الأجنبيات، واحلالهن محل الوالدين في تربية الأبناء وحدوث ما يسمى «باستقالة الوالدين» من الدور التربوي ومن المؤشرات الخطيرة لهذه الظاهرة[١]:

أ ـ إن غالبية المربيات من مجتمعات ذات ثقافة غربية وفي مرحلة عمرية أقل من ٣٥ عاما مما يؤدي لانتشار أنماط سلوكية غير مرغوبة مثل شرب الكحول وممارسة طقوس دينية وثنية وممارسة الجنس قبل الزواج.

ب ـ ٩٣٪ من المربيات دون الالمام المناسب باللغة العربية مما أثر على التحصيل المعرفي للأبناء.

جـ ـ اتضح أن ٨٣و٥٪ من الأطفال يشعرون بالاطمئنان مع المربية، ٧٢٪ يشعرون بالحاجة إليها عند غيابها و٩١٪ يشعرون بأن المربية تعطيهم الاهتمام الكافي.

---

(١) جريدة القبس عدد ٥٩٥٨.

المعوق الخامس: الصحبة الفاسدة:

للصحبة تأثير كبير جداً على سلوك الفرد، خصوصاً في سن الشباب حيث يمر الشاب بمرحلة تأجج العواطف وحب الانتماء. لذلك فإن الصداقات التي تكون في سن المراهقة تظهر بأقوى العلاقات وأكثرها اندماجاً وتمازجاً.

وهذا ما يجعل القضية أكثر خطورة إذا كانت الصحبة فاسدة وكما قال المصطفى ﷺ: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[1] ولعل في استعراضنا السابق لموضوع أفلام الفيديو اتضحت لنا هذه الحقيقة.

وتلاحظ التأثيرات السيئة للصحبة في الجوانب التالية:

أ ـ تعريف الشاب بأنماط من السلوك والممارسات لم يكن يعرفها في السابق، مما يجعله في تفكير مستمر حول ممارستها، وفي صراع نفسي بين رغبة الخير التي تربى عليها ورغبة الشر التي يراها في أقرانه.

ب ـ التشجيع على ممارسة الفساد لكثرة مشاهدته وإلحاح صاحبه وتهوينه الأمر في عينيه.

جـ ـ قد يجر ذلك إلى الممارسات اللاأخلاقية الجماعية وهنا يتحول الشاب من فاسد إلى مفسد.

وفي الدراسة السابقة عن «الأسرة.وانحراف الأحداث» ظهرت النتائج التي أبرزت أثر الصحبة المفسدة على الأحداث على الوجه التالي:

١ ـ اتضح أن ٢٦,٨٪ من أسباب الانحراف لأحداث دار التربية ترجع إلى الرفقاء، كما وجد أن ٥٧,٦٪ من الأحداث المنحرفين ينتمون الى «مجموعات» من الأحداث في مثل أعمارهم بينما ٣٠,٣٪ ينتمون إلى فئات باعمار مختلفة ووجد أن ٩,١٪ فقط لا ينتمون لمجموعات. أما منحرفو سجن الأحداث فأوضحوا أن تأثير رفقاء السوء

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٣٥٣٩

بلغ ٥ , ٥٩٪ من جملة الأسباب وأن ٢ , ٧٢٪ من مجموع الأحداث لهم رفقاء ارتكبوا انحرافات مما يؤكد تأثر الحدث برفقاء السوء.

٢ ـ عن كيفية وقوع الفعل المنحرف اتضح أن ٢ , ٧٠٪ من مجموع الأحداث في السجن فعلوا ذلك مع آخرين.

من هنا يتضح الأثر الخطير للصحبة السيئة في دفع الشاب أو الفتاة إلى الانحرافات السلوكية.

المعوق السادس: وسائل ومنتديات الترفيه غير البريء:

- من ذلك حفلات الموسيقى والرقص والغناء والمسارح الهابطة والتردد على النوادي البحرية وأماكن الآلات الالكترونية (الفليبرز) ودور السينما ذات الأفلام الرديئة.

- ولعل السر في إقبال الشباب على تلك الوسائل هو وقت الفراغ الكبير الذي يحتار الشاب في قضائه فيلجأ إن لم يعصم بالتربية الإسلامية الصحيحة إلى قتل الفراغ (وحقيقتها قتل نفسه) بالتسكع في تلك المنتديات.

- وفي الدراسة السابقة «الأسرة وانحراف الأحداث» ظهر تأثير وقت الفراغ وشغله بالوسائل السابقة وأشباهها على انحراف الحدث على الوجه التالي:

١ـ بلغت نسبة الاحتمالات التي يقضي بها الأحداث المنحرفون في سجن الأحداث أوقاتهم في السينما ٢٤,٨٪ ومشاهدة التلفزيون والاستماع للراديو ١٩,٤٪ ولا يخفى ما للسينما والتلفزيون من تأثير كبير خاص على الأحداث[1].

١٧,١٪ من جملة الاحتمالات يقضي بها الأحداث أوقاتهم بالشارع ٩,٦٪ في الألعاب الالكترونية (وقد تم إقفالها بناءً على دراسة قامت بها إدارة البحوث في مجلس الوزراء).

٢ ـ أما الأحداث المنحرفون في دار التربية فاتضح أن ٢٢,٥٪ منهم يقضون أوقاتهم في الشارع، ٣٦,٣٪ منهم في السينما والتلفزيون والراديو.

روى البخاري وأحمد ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر (الزنا) والحرير والخمر والمعازف**» والحكمة في التحريم ظاهرة:

حيث أن المتتبع لمجالس الغناء الفاسق ومسارح الطرب وأماكن اللهو وما يصاحبها من معازف وآلات في ذلك يجد الرقص الخليع الفاجر من نساء امتهنّ الرذيلة والفاحشة ويجد العربدة والصياح المتعالي من أفواه السكارى ويجد الكلمات

---

(١) سبق الحديث عن ذلك في المعوق الأول.

البـذيئة الفاحشة العارية من الحياء والخجل والمتخمة بالوقاحة وسوء الأدب، يجد الاختـلاط الشـائن بين عوائـل متحللة حيث التخلع والمـراقصـة وهـدر النخـوة والشرف. . وباختصار يجد التحلل والإباحية في أسوأ تبذلها ومظاهرها[1].

ولعل مشكلة «وقت الفراغ» وسوء استغلاله من قبل الشباب هو أحد الدوافع للجـوء إلى وسـائل الترفيه غير البريئة أو على الأقل ممارسة الأنشطة الغير مفيدة، والجـداول التالية توضح كيف يقضي ٣٧٣٩ شاباً وشابة أوقات فراغهم في دراسة أجريت عام ١٩٨٥ في دولة الكويت[2].

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام. عبدالله علوان

(٢) دراسة «الشباب ووقت الفراغ» الديوان الأميري.

جـــدول (٣)

النسب المئوية لممارسة الشباب في الكويت

أنشطة وقت الفراغ حسب الجنسية (كويتي - غير كويتي)

الترتيب حسب الأهمية	العبارات	النسب المئوية لوجود المشكلة	
		كويتي	غير كويتي
١	الذهاب إلى الجمعيات الثقافية	٦٩	٦٩
٢	التجول بالسيارة	٦٥	٦٠
٣	الذهاب إلى الأندية الرياضية	٤٣	٦٨
٤	القراءة في المكتبات العامة	٤٣	٤٨
٥	مشاهدة أفلام الفيديو الممنوعة	٤٩	٣٦
٦	تكوين علاقات مع الجنس الآخر	٥١	٢٥
٧	متابعة الندوات الدينية	٣٨	٣٣
٨	ممارسة الهوايات الخاصة	٣٦	٣٤
٩	مشاهدة التلفزيون	٢٧	٣٢
١٠	الخروج في رحلات البر والبحر	٣٠	٢٦
١١	التنزه مع الأصدقاء	٣٧	٨
١٢	زيارة الصديقات والأصدقاء	١٤	٢٨
١٣	التحدث بالتليفون	١٧	٢٢
١٤	الذهاب إلى الديوانية	٢٣	٣
١٥	مرافقة الأسرة	١٨	٥
١٦	الذهاب إلى الحدائق والمتنزهات	١٠	١٢
١٧	القيام بالزيارات الأسرية	١٥	٧
١٨	القيام ببعض الالتزامات المنزلية	١٣	٨
١٩	التجول في السوق	٩	١١
٢٠	صيد السمك (الحداق)	١٥	٤
٢١	مزاولة ألعاب الفيديو	٩	٩
٢٢	التجول بالجمعيات التعاونية	٧	٩
٢٣	الذهاب إلى السينما والمسرح	٧	٣
٢٤	قراءة الصحف والمجلات	٦	٢

جـــدول (٤)
النسب المئوية لممارسة الشباب في الكويت
أنشطة وقت الفراغ حسب الجنس (ذكور - إناث) مرتبة حسب أهميتها

الترتيب حسب الأهمية	العبارات	النسب المئوية لوجود المشكلة	
		ذكور	إناث
١	الذهاب إلى الجمعيات الثقافية	٧٣	٦٢
٢	التجول بالسيارة	٧٠	٤٠
٣	الذهاب إلى الأندية الرياضية	٥٩	٤٧
٤	القراءة في المكتبات العامة	٤٩	٣٩
٥	مشاهدة أفلام الفيديو الممنوعة	٤٥	٤٠
٦	تكوين علاقات مع الجنس الآخر	٤٠	٤١
٧	ممارسة الهوايات الخاصة	٣٤	٣٩
٨	متابعة الندوات الدينية	٣٧	٣٥
٩	مشاهدة التلفزيون	٢٨	٣١
١٠	الخروج في رحلات البر والبحر	٣٢	٢٠
١١	التنزه مع الأصدقاء	٢٤	٢٤
١٢	زيارة الصديقات والأصدقاء	١٨	٢٣
١٣	التحدث بالتليفون	١٩	٢٠
١٤	مزاولة ألعاب الفيديو	١٠	٢٧
١٥	مرافقة الأسرة	١٠	١٦
١٦	الذهاب إلى الديوانية	١٩	٦
١٧	القيام بالزيارات الأسرية	٩	١٦
١٨	الذهاب إلى الحدائق والمنتزهات	١٠	١٢
١٩	القيام ببعض الالتزامات المنزلية	١٠	١١
٢٠	صيد السمك (الحداق)	١٣	٦
٢١	التجول في السوق	١٠	٩
٢٢	التجول بالجمعيات التعاونية	٩	٦
٢٣	الذهاب إلى السينما والمسرح	٥	٥
٢٤	قراءة الصحف والمجلات	٤	٥

وكان من أهم نتائج تلك الدراسة:

١ - تشغل مشكلة تنظيم وقت الفراغ اهتمام الشباب في الكويت.

٢ - أنواع المشكلات الرئيسية تصنف على النحو التالي:

أ - مشكلات المبالغة في ممارسة أنشطة مباحة ومقبولة اجتماعياً: وتتمثل المشكلة في أنها تستغرق وقتاً طويلاً على حساب أوقات الدراسة أو العمل أو التفريط في مسئولياته الاجتماعية الأخرى.

ب - مشكلات عدم ممارسة أنشطة مباحة ومقبولة اجتماعية.

جـ - مشكلات ممارسة أنشطة غير مقبولة اجماعياً: تعتبر هذه الأنشطة مشكلة حقيقية لأنها تسيء إلى الشباب نفسياً واجتماعياً وجسمياً وخلقياً كمشاهدة أفلام الفيديو الممنوعة وتكوين علاقات مع الجنس الآخر.

المعوق السابع: السياحة الخارجية غير الواعية:

إذا عرفنا أن أعداد المغادرين عن طريق الجو من الكويتيين فقط بلغت ما يزيد على ٤٠٠ ألف[١] مغادر في عام ١٩٧٩ أدركنا مدى ما تأخذ السياحة الخارجية من اهتمام أهل البلد، وأهل الخليج عموماً بل وبلاد العالم بأسره فقد بلغ عدد السواح عام ١٩٧٥ : ٢١٤ مليون وارتفع إلى ٣٢٥ مليون سائح عام ١٩٨٥[٢].

ـ وكما للسياحة الخارجية من آثار إيجابية على السائح بالإطلاع على أحوال شعوب العالم وعلومهم والاعتماد على النفس واكتساب مهارة التعامل مع الغير والتعرف على لغات أخرى فإن لها كذلك آثار سلبية منها:

١ ـ ذوبان الفرد اجتماعياً وبالتالي سلوكياً في عادات الغير وتقاليده وتقاليعه.

٢ ـ الشعور بالحرية وممارستها دون الضوابط الاجتماعية التي كانت تنظمها للإنسان في مجتمعه خصوصاً في غياب الرقابة الأسرية في السفرات الجماعية للشباب.

٣ ـ سهولة ويسر الممارسات اللاأخلاقية وذلك لشيوعها وانتشارها خصوصاً في البلاد الغربية وبعض بلدان جنوب شرق آسيا.

٤ ـ الإساءة لسمعة المجتمع لدى وقوع مشاكل من وراء الممارسات اللاأخلاقية.

٥ ـ العودة للوطن وإحضار تلك السلبيات لممارستها كإحضار الأفلام الخليعة والمجلات الداعرة وغيرها.

٦ ـ الإصابة بالأمراض الجنسية نتيجة الممارسات اللاأخلاقية. وقد ذكر الدكتور محمد علي البار في كتابه «الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها» أن السياحة من أسباب انتشار الأمراض الجنسية وقال: «وعلى كل حال فالبلاد السياحية مثل أسبانيا والبرتغال تتمتع بأعلى معدلات الإجهاض سنوياً في العالم لعدد السكان» وذكر د. محمد المشاري في كتابه: «الأمراض التناسلية» أحد الأسباب لهذه الأمراض فقال:

---

(١) المجموعة الاحصائية. وزارة التخطيط.

(٢) جريدة القبس عدد ٥٤٠٦

«ازدهار السياحة وكثرة الأسفار والرحلات نتيجة اليسر المادي». كما أشار الدكتور إلى أن نسبة الإصابة بالسيلان تزداد في فصل الصيف (موسم السفر)[1] .

ومن المؤسف حقاً أن التأثير الأخلاقي للسياحة لم يقتصر على الشباب فقط بل ـ وللأسف ـ انتقل إلى بعض ضعاف النفوس من كبار السن فكيف بعائلة عائلها شيخ زان..؟!

ونسي حديث الرسول ﷺ في الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ومنهم «الشيخ الزاني»..!!

وعندما سئل أحد الشباب عن سبب ممارساته اللاأخلاقية أثناء سفره أجاب قائلاً: «إنكم تنصحوننا بعدم فعل الفواحش، والأوْلى أن تنصحوا من هم في أعمار آبائنا ونراهم أمامنا في ارتكاب الفاحشة»[2]. كما أشار آخر إلى أنه تعلم تعاطي المخدرات أثناء السفر .

(١) القبس بتاريخ ٤/١١/١٩٨٧

(٢) الشباب والمخدرات في الخليج . عبدالرحمن مصيقر

المعوق الثامن: غياب التشريع الاسلامي:

ـ ولعله السبب الــرئيسي للإنحـراف في شتى مجالات الحياة وليس الانحـراف الأخلاقي فقط وما ظهور الأسباب السابقة إلا كنتاج لهذا السبب.

ـ وهذا هو وعد الله لمن أعرض عن دينه قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ ـ طه ١٢٤ ـ.

● فغياب التشريع الإسلامي في وسائل الإعلام

ـ حيث حرم الإعلان عن الفاحشة وشيوعها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ـ جعل وسائل الإعلام منابر دعوة وتحريض على الفجور والتحلل من الأخلاق الفاضلة.

● وغياب التشريع الإسلامي عن مناهج التربية

ـ وقد جعل الإسلام الكتاب والسنة هما المنهج فقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ـ القلم ١ ـ. جعل تلك المناهج تفرز الشباب الخاوي الضمير والساعي وراء الملذات والشهوات، والذي ليس له في الدنيا إلا اتباع هواه.

● وغياب التشريع الإسلامي عن الأسرة ـ وقد أوصى الوالدين بحسن الرعاية للأبناء فقال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ﴾ ـ فأصبحت الأسرة مفككة مهلهلة لا يشعر الأبناء بها ولا هي تشعر بهم.

● وغياب التشريع الإسلامي عن قوانين الجزاء. وقد شرع الإسلام القصاص والحدود الشرعية للزنا واللواط والقذف قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ ـ النور ٢ ـ واستبدال المجتمع بالمنهج الإسلامي والقوانين الوضعية التي لا تردع ولا تزجر بل وكأنها تربت على أكتاف المنحرفين، جعل أعداد المنحرفين والمجرمين اللاأخلاقيين في ازدياد مطرد. فقد أشار ٢٢,٤٪ فقط من مرتكبي جرائم هتك العرض في الكويت عام ١٩٧٦ أنهم كانوا يخشون الجزاء القانوني أي أن ٧٧,٦٪ لم يبالوا بالأمر[1].

---

(١) دراسة «أثر العوامل الاجتماعية وقانون الجزاء في انتشار جرائم هتك العرض في الكويت».

● وغياب التشريع الإسلامي عن السلوك والأخلاق ـ وقد شرع لها غض البصر والحياء والعفة ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا. . .﴾ ـ النور ٣٠/٣١ ـ فطاشت الأخلاق وضاعت القيم والفضائل وتحللت المرأة من سترها وحيائها.

● وأخيراً. . فإن غياب التشريع الإسلامي عن ضمير الفرد ـ وقد شرع الإسلام للضمير تقوى الله ومخافته ومراقبته والحياء منه قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ـ آل عمران ١٠٢ ـ وقال تعالى: **﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير﴾** ـ الملك ١٢ ـ.

وشعور كل مسؤول بأنه محاسب أمام الله: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله سائل كل مسؤول عما استرعاه أحفظ أم ضيع»**.[1]

فلما غاب التشريع الإسلامي وانعدم الضمير في المجتمع انعدم الشعور بالمسؤولية من الشاب. . وانعدم من الفتاة. . وانعدم من الأب تجاه أسرته ومن المرأة تجاه زوجها. . وانعدم من المسؤول تجاه رعيته ومجتمعه فأصبح المجتمع كتلك القرية التي حدثنا عنها القرآن: **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾** ـ الأسراء ١٦ ـ.

وهذا ما آكده بعض المسؤولين حيث أشاروا إلى «ضرورة بث الشعور الديني والاهتمام بالترشيد الأخلاقي والديني الذي يجعل من مقومات الشخصية حصناً منيعاً ضد نوازع الانحراف، وهذا لايكفي بمفرده إلا إذا ساندته العودة إلى أحكام الشريعة لردع المنحرفين أو المعرضين للانحراف خاصة في السلوك الجنسي المنحرف»[2].

---

(١) صحيح الجامع الصغير ١٧٧٠

(٢) دراسة «أثر العوامل الاجتماعية وقانون الجزاء في انتشار جرائم هتك العرض في الكويت».

المعوق التاسع: غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الإسلام قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ - آل عمران ١٠٤ -.

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشك الله أن يبعث عليكم عذاباً منه فتدعون فلا يستجيب لكم**» - رواه الترمذي - [١]

قال النووي: «قد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو أيضاً من النصيحة في الدين»[٢]. بل هي من ركائز المجتمعات قديماً وحديثاً، فكانت هي غاية جميع الرسالات السابقة قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ - آل عمران ١١٣/ ١١٤ -.

قال القرطبي: «ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانا واجبين في الأمم المتقدمة وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة».

لذا فإن غياب هذه الفريضة عن حياة الأمة أو ضعف القائمين بها أو التضييق على الدعاة المصلحين، له آثار وخيمة على المجتمع، فمن هذه الآثار:

١ - ضياع الهوية الإيمانية للأمة:

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ - التوبة ٧١ -.

«فالأمـــر والنهي لا يكونان إلا حيث يكون إيمان... والأمة التي تسودها شعب الإيمان تهب إلى الأمر بها والنهي عما يضادها حرصاً على مميزات أخلاق الإيمان وأثرها في

(١) صحيح الجامع الصغير ٦٩٤٧

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. جلال الدين العمري

سعادة الإنسان، وفي قوة الأمة كلها، ومن هنا لا يوجد إيمان إلا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لازماً له وخاصة من خواصه لا تنفك عنه»[1].

فإذا غاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غاب الإيمان عن مسمى الأمة الإسلامية المرحومة فأصبحت عرضة لأهواء الشرق ومكائد الغرب. وهذا ما وقع لبني إسرائيل فقد روى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لما وقع النقص في بني إسرائيل، كان الرجل منهم يرى أخاه يقع على الذنب، فينهاه عنه، فإذا كان الغد، لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ونزل فيهم القرآن فقال:** ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ ـ وقرأ حتى بلغ ـ ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ـ المائدة ٧٨/٨١ ـ قال: وكان متكئاً فجلس وقال: «**لا، حتى تأخذوا على يد الظالم، فتأطروه على الحق أطراً**». أخرجه الترمذي.[2]

فهوية الأمة الإسلامية هي في دعوتها للحق الذي نشأت عليه وحمايته وصونه بل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غايات الجهاد في سبيل الله وهذه بشائر المصطفى ﷺ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنكم منصورون ومصيبون ومفتوح عليكم، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله، وليأمر بالمعروف، ولينه عن المنكر، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[3]

٢ ـ ضياع الخيرية والمكانة بين الأمم:

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ـ آل عمران ١١٠ ـ تلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الآية في حجه فقال: «ياأيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها».

قال القرطبي: (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك

---

(١) «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» عبدالقادر أحمد عطا

(٢) أبوداود (٤٣٣٦) والترمذي (٥٠٣٨) وقال: حسن غريب.

(٣) أخرجه أحمد (١/٣٨٩ و ٤٠١ و ٤٣٦)

وارتضوا به فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم وكان ذلك سبباً لهلاكهم».

٣ ـ استحقاق الهلاك والعقاب من الله:

قال أبوبكر رضي الله عنه في خطبة: «يأأيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية تضعونها على غير موضعها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر بينهم فلم ينكروه يوشك أن يعمهم الله بعقابه» ـ رواه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه والنسّائي.[1]

٤ ـ انحلال المجتمع وتهدم كيانه:

فأساس بنيان المجتمع المسلم وغاية الجهاد لإقامته هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ ـ الحج ٤١ ـ فمتى ما قوضت هذه القاعدة انقلبت معها قيم المجتمع وموازينه التي تبنى عليها تصوراته ومنهاجه، ويتم ذلك وفق درجاته.

الدرجة الأولى: انتفاء الكره والبغض للمنكرات وهي درجة الإنكار بالقلب أدنى درجات الإيمان ﴿ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ ـ الحجرات ٧١ ـ وروى أبوداود عن عرس بن عميرة الكندي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها وكرهها ـ وفي رواية ـ فأنكرها، كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها، كان كمن شهدها**».[2]

الدرجة الثانية: إذا تمادى المجتمع في غفلته فسيتقبل بعضها وسيسكت عنها إما جهلاً أو تخاذلاً. وهذه تكون سبباً لهلاك المجتمع، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ ـ المائدة ٧٩ ـ.

الدرجة الثالثة: إذا تمادى المجتمع كذلك في سكوته عن المنكر فسيتحول إلى أمر واقع، ومع الزمن سيظن عامة الناس أنها أعراف وعادات، وسيصعب عند ذلك تغييرها بل...

---

(١) صحيح الجامع الصغير ١٩٦٩ و ١٩٧٠

(٢) صحيح الجامع الصغير ٧٠٢

وسيستعرب من الذي ينكرها، كما قال عمر بن عبدالعزيز حين ولّى الخلافة عن واقع مجتمعه في ذلك الحين «شاب عليه الصغير وهرُم عليه الكبير وظن الناس أنه هو الدين».

الدرجة الرابعة: أن يصبح المنكر معروفاً فيتداعى إليه الناس ويتعارفون عليه ويرون فيه الخير وفي ضده (المعروف الحقيقي) الشر بل وكل الشر ويعلو حينئذ شأن المفسدين، وتعلو مكانتهم في المجتمع ويصبحون هم قادته ورواده ومفكريه وفنانيه وسيخفض صوت المصلحين وتنحط مكانتهم في المجتمع ويوصفون بالرجعية والتخلف والتطرف... ويصبحون في نظر المجتمع هم سبب شقاء الأمة..؟! وهنا تنقلب الموازين وتضيع القيم ويتهدم الكيان الحقيقي للمجتمع.

ذكر الأوزاعي رحمه الله: «عن حسن بن عطية أن النبي ﷺ قال: سيظهر شرار أمتي على خيارها حتى يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا»[(١)]. وذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «توشك القرى أن تخرب وهي عامرة! قال: إذا علا فجارها على أبرارها وساد القبيلة منافقها».

وروى الخلال عن سفيان قال: «إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق»[(٣)]

... لذلك فإن ما نراه من انتشار بعض المنكرات وشيوعها في المجتمع وقيامها كأسباب للإنحراف ومهيجات للغرائز.. ما هو إلا لغياب تلك الفريضة.

---

(١) أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب. محمد محمود الصواف

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. عبدالقادر أحمد عطا

المعوق العاشر : معوقات الزواج:

فالزواج هو الحصن الواقي من الانحراف، والمتزوج هو المحصن، وهو من أقوى وسائل الاستعفاف، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج . . .**» رواه البخاري.

وبالتالي فإن أي معوق لإتمام الزواج هو في الواقع سبب من أسباب الإنحراف والفتنة للشاب والفتاة، كما أخبر المصطفى ﷺ: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**» ـ رواه الترمذي ـ[1].

ومن تلك المعوقات:

١ ـ المغالاة في المهور.

٢ ـ اشتراط التكاليف الباهظة للحياة الزوجية.

٣ ـ المبالغة في اشتراط المؤهلات العلمية والمكانة الاجتماعية العالية للشباب، وذلك بدعوى أن لا تقل منزلة المخطوبة عن مثيلاتها من الفتيات.

٤ ـ اشتراط بعض الأسر الزواج لبناتهن حسب تسلسل أعمارهن مما يضيع الفرصة على إحداهن بسبب أختها الكبرى.

وبسبب تلك المعوقات ارتفعت نسبة العنوسة في مجتمعاتنا بدرجة خطيرة تستدعي الالتفات إليها بجدية قبل أن تحدث الفتنة والفساد العريض.

فقد اتضح أن هناك ما يسمى «بتأجيل الزواج» ما بين عامي ١٩٧٠ ـ ١٩٨٥ في المجتمع الكويتي حيث زادت نسبة من لم يسبق لهم الزواج والذين تبلغ أعمارهم ١٥ سنة فأكثر من الذكور الكويتيين من ٣٧٪ إلى ٣٩٪ وللإناث من ٢٠٪ إلى ٢٨٪، كما اتضح تأخر سن الزواج خلال هذه الفترة فقد كان متوسط العمر عند الزواج في عام ١٩٧٠ للإناث ١٩,٨ سنة وارتفع إلى ٢٢,٤ سنة في عام ١٩٨٥[2].

---

(١) تقدم تخريجه

(٢) الدراسة التحليلية الرابعة. للتعداد العام للسكان ١٩٨٠. الإدارة المركزية للإحصاء.

الباب الثالث: العفة ومنهج الاستعفاف

الفصل الأول: ـ العفة والاستعفاف

ـ ثمرات وفوائد الاستعفاف

العفـة والاستعفـاف

العفـة في اللغـة:

جاء في لسان العرب:

العفة: هي الكف عما لا يحل ويجمل، وعفّ عن المحارم والأطماع الدنية، يعفّ عفةً وعفّاً وعفافاً وعفافةً، فهو عفيف وعفٌّ أي كف وتعفف واستعفف وأعفه الله. وفي التنزيل: **«وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً»** فسره ثعلب فقال: وليضبط نفسه بمثل الصوم فإنه وجاء.

والاستعفـاف: طلب العفـاف وهـو الكف عن الحـرام والسؤال من النـاس، وقيل: الاستعفـاف الصـبر والنـزاهـة عن الشيء، ومنـه الحديث: **«اللهم إني أسألك العفة والغنى»**، وامرأة عفيفة: عفّة الفرج، ونسوة عفائف، وتعفف: أي تكلف العفة.

- فالعفة هي كف النفس عن المحارم وعما لا يجمل بالإنسان فعله. ومنها العفة عن اقتراف الشهوة المحرمة. ويأتي في مقابل العفة: الدناءة والخسة في كثير من صورها. والعفة لا تكون إلا إذا وجد الدافع النفسي إلى ما ينافيها فإذا لم يكن في النفس دافع إلى ما ينافي العفة أو لم يوجد ما يثير الدافع لم يكن للعفة وجود أصلاً فأي معنىً لعفة من لا إرب له أو لعفة معتزل في صومعة لا يتعرض إلى أي مثير؟ إنها عفة المحروم أو عفة عاجز لم يتعرض لامتحان»(١)

- والعفة مطلوبة من المتزوج ومن غير المتزوج وإن كانت في حق المتزوج آكد ولذا كانت العقوبة عليه أشد، وفي الحديث: * **«لايحل دم امرىء مسلم إلا باحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»** ـ متفق عليه ـ وقد ذكر الدكتور محمد علي البار في كتاب «الأمراض الجنسية أسبابها وعلاجها» حادثة لطيفة لتبيان معاني الإحصان والعفة.

---

(١) الأخلاق الاسلامية وأسسها جـ ٢ . عبدالرحمن الميداني.

يقول: «رأيت ذات ليلة الرسول ﷺ فلم أستطع أن أرفع بصري إليه إجلالاً وتوقيراً وسألت قائلاً: يا رسول الله لقد تفشت في الناس الأمراض الجنسية فما العلاج؟ فأجابني ﷺ بكلمة واحدة: «**الإحصان**» ثم انتبهت من نومي وتفكرت في معاني هذه الكلمة البليغة الموجزة التي حوت العديد من المعاني ورجعت إلى معاجم اللغة فوجدت أن للكلمة معانٍ عدة **أولها** الوقاية والمنعة **وثانيها** العفة **وثالثها** الحرية **ورابعها** الزواج.

فمن معاني الإحصان «محصنين غير مسافحين» أي متزوجين غير زانين «**محصنات** غير مسافحات» أي عفائف غير زانيات «ولا متخذات أخدان» أي أخلاء. قال تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ أي تعففاً وبعداً عن الزنا، وامرأة حصان: أي ممتنعة عن الزنا عفيفة، والحصان الفرس العتيق لأنه محرز لفارسه، وقيل حصان لأنه ضنّ بمائة فلم ينزُ إلا على كريمه ثم كثر ذلك حتى سمّوا كل ذكر من الخيل حصاناً.

- والعفة خلق إيماني رفيع، هو زينة للرجل المسلم والمرأة المسلمة في الدنيا والآخرة يحفظان به إيمانهما ويضمنان به استقامتهما ويستجلبان به رضى ربهما ويعتصمان به من معاصيه وسخطه ويحفظان به شبابهما وصحتهما (فقد سرى وهم لدى كثير من الناس أن عدم استعمال الأعضاء الجنسية يفسد الغدد الجنسية الصماء ويعطل وظائفها. بينما الحقيقة أن العفة تساعد على الصحة ذلك أن غدد الجنس لا تضمر ولا تذبل نتيجة لعدم الاستعمال فإن استبقاء الإفرازات الداخلية للغدد الجنسية تساعد فعلياً على إحراز بنية قوية إذ أن القذف المنوي يحرم الجسم كميات لا بأس بها من الحديد والفوسفور والكالسيوم كانت تؤلف جزءاً من نسبة الدم)(١). وكما ادعى بعض الداعين للإباحية أن العفاف يورث الكبت الجنسي ويضر بالصحة، وهذا القول باطل سطحي ويرد عليه الأطباء الغربيون أنفسهم يقول الدكتور «جيمس باجيه» طبيب القصر الملكي بلندن «لا ضرر من العفاف للجسم والصحة» ويقول الدكتور بريه «عفاف الشباب يقي صحتهم وعقلهم وقد دلت التجارب على

---

(١) «الخطايا في نظر الاسلام» عفيف عبدالفتاح طباره.

أن ضبط النفس في الإنسان والحيوان عن الشهوات عامل قوي للنماء والصحة» وليس هذا فحسب بل لقد قرر المؤتمر الدولي العام الذي شارك فيه ١٠٢ طبيباً من أقطاب الطب في جميع أنحاء العالم إنه «يجب أن يفهم الشباب بالخصوص عن العفاف والطهارة إنهما ليسا فقط لا يضران بل إن هاتين الفضيلتين من أنفع ما يكون للصحة»(١).

- كما أن العفة هي السبيل لحياة زوجية سعيدة حيث يقدم عليها الزوجان بطهارة ونقاء. ولذلك فقد حث الإسلام على العفة والاستعفاف، فجاء ذلك النداء الرباني بقوله تعالى:

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ ـ النور ٣٣ ـ ترغيباً بها وحثاً عليها ودعوة للتمسك بها دون غيرها من السبل.

- ويقصد بالاستعفاف: إخماد الغريزة الجنسية والتسامي بالإحساسات الشهوية وتهذيب الميول الجسدية، وهو ما يطلق عليه علماء النفس مصطلح رفع الشأن (السمو)(٢). «وأتى بالأمر بصيغة الاستفعال لما يتطلبه هذا الأمر من جهاد طويل للنفس وصراع عظيم لتذليل شهواتها»(٣).

والمقصود في الآية أن يلزموا جانب العفة ولا يفعلوا ما لم يأذن به الله. والذين لا يجدون نكاحاً هم الذين لا يجدون قدرة مالية على الزواج وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ إشارة إلى أنهم إذا التزموا جانب العفة أغناهم الله من فضله فيتهيأ لهم بذلك زواج مناسب(٤)» وكما روي أن من الثلاثة الذين حق على الله أن يعينهم «الساعي لإعفاف نفسه».

ولعل من أعظم البشارات للعفيف هو حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، حيث ذكر رسول الله ﷺ أن منهم «... **ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين**» ـ متفق عليه ـ ووالله إن اللذة التي

(١) «التدابير الواقية من الزنا» ـ د. فضل إلهي.

(٢) (٣) «بانتظار الحورية».

(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها. عبدالرحمن الميداني.

يجنيها الشاب من وراء خطيئة لتتلاشى، إذا تأمل هذا الحديث وأدرك معنى أن يظله الله في ظله يوم تدني الشمس على رؤوس الخلائق قدر ميل، - في أي يوم. . ؟ في يوم مقداره خمسين ألف سنة، فأي عاقل يفرط في هذا الأمن يوم الفزع؟ وأي لذة تعدل هذا الفضل؟ وأي عقل يفرط في هذه النجاة يوم القيامة في سبيل لذة لحظة أو لحظات. . . ؟

ثمرات وفوائد العفة:(١)

١ - **النجاة من الفواحش**: ذلك أن العفيف لا يستعفف عن فعل الفاحشة فقط بل إنه يتعفف عن مقدماتها ومداخلها وأسبابها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ - الإسراء ٣٢ - وذلك أن النظرة والمحادثة والخلوة والملامسة أبواب للزنا فمن فتحها فسيصعب عليه النجاة من الزنا، كما أن العفة تهدىء وتلطف الشهوة وتلقى برعاية التقوى على العقل فينعم العفيف بحياة هنيئة طاهرة.

٢ - **النجاة من أضرار الفواحش**: فهناك العقوبات الربانية لمرتكب الفواحش من سخط الله عليه وإبعاده من رحمته وعقابه في الآخرة بعد فضحه على رؤوس الأشهاد وإقامة الحد الشرعي عليه وهناك الأضرار الاجتماعية والنفسية والمرضية والخلقية والتي ذكرناها آنفاً، ولا سبيل للنجاة من تلك الأضرار إلا بالعفة.

٣ - **طهارة الفرد ونقاء المجتمع**: فالعفيف سيعيش في دنياه في ظلال الرحمة الإلهية، والدعاء الملائكي، واشتياق الحور العين له، كما أنه سيحيا حياة اجتماعية مستقرة بالسمعة الطيبة والذكر الحسن والزواج السعيد والمجتمع المتماسك المحصن، وهنأ بنفسية مستقرة مطمئنة بأنس الطاعة وبهجة القرب من الله ولذة العبادة وحلاوة الإيمان، وسيكون في مأمن من تلك الأمراض الخبيثة. كما أنه سيسعد ويُسعد مجتمعه بأخلاقه الفاضلة بحيائه وعفافه وحشمته وتقواه وستره وصبره - فقل لي بربك - ألا يسعد المجتمع بأمثال هذا. . . ؟

أم أن سعادة المجتمع في ذاك الذي استمرأ العيش في الظلام وأكل اللحم

---

(١) بتصرف من كتاب «بانتظار الحورية».

الحرام . . نهاز للفرص لا يرعى الحرمات ولا همّ له إلا إرضاء نزواته وإشباع رغباته . ؟!!

٤ ـ **قوة الإرادة**: ذلك أن الاستعفاف يتطلب قدراً كبيراً من الإرادة القوية والعزيمة الصادقة ليقهر سلطان التقوى سلطان الهوى «**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**» ـ النازعات ٤١ ـ وقوة الإرادة من الأسس الهامة لبناء الشخصية الإسلامية، فهي التي تمكّن المسلم من التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل وأداء الأوامر الإلهية والجهاد في سبيل الله وبناء المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا** ﴾ ـ الإسراء ١٩ ـ.

٥ ـ **العفيف في ظل الله**: فكما أنه استظل بتقوى الله ومخافته في الدنيا فإن جزاءه في الآخرة من جنس عمله قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . . . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين**» ـ متفق عليه ـ.

٦ ـ **العفيف مضاعف الثواب**: فكلما تضاعفت دواعي الفتنة والفجور استلزم ذلك قدراً أكبر من التقوى والصبر عن المعاصي مما يجعل صاحبه في ميزان أعدل الحاكمين أوفر جزاءً وأجزل ثواباً ففي الحديث «**العبادة في الهرج كهجرة إليّ**»[1] ـ رواه مسلم ـ وذكر أن أجر العامل منهم[1] كأجر خمسين من صحابته.

٧ ـ **في العفة تحقيق الإيمان**: قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ ـ الأعراف ٢٠١ ـ.

قال عبدالله بن عمر «صدق الإيمان أن يخلو الرجل بالمرأة الحسناء فيدعها لا يدعها إلا لله عز وجل»، وليس المقصود أن يسعى الرجل للخلوة بالمرأة فإن ذلك غير جائز شرعاً، وإنما ذلك لبيان أنه لا ينجو من تلك الفتنة إلا صادق الإيمان وكما قال تعالى في حق يوسف عليه السلام ﴿ **كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ** ﴾ ـ يوسف ٢٤ ـ

---

(١) أي من المؤمنين العاملين في وقت الفتن.

٨ ـ العفة كرامة في الدنيا ونجاة من النار: وإنها والله الكرامة بذاتها أن يقعد الرجل مقعد الزنا أو تدعوه امرأة ذات منصب وجمال فيستعف على ما فيه من الشهوة وحرارة الغريزة مما يستحيل فعله إلا على المؤمن، لذا كانت العفة من الأعمال الصالحة التي توسل بها أحد النفر الثلاثة الذين حجزوا في الغار فأنجاهم الله ببركة هذا العمل[1] وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست في سبيل الله وعين بكت من خشية الله وعين كفت عن محارم الله**»[2]».

٩ ـ الاستعفاف سبيل الزواج المثالي: فإن الشباب الذي أرخى العنان لشهواته وتعوّد على تدنيس الأعراض وإشباع رغباته بألوان متعددة من المفاسد لن يطيق صبراً عنها وإن تزوج إلا أن يتوب ويبدأ بزواجه صفحة جديدة من حياته، وكذلك الفتاة التي خرجت من حصنها العفيف وخالطت الرجال وعاشرتهم من الصعب بعد ذلك أن تخضع لزوج تهب له كل حياتها إلا بعد توبةً نصوحاً. أما أهل العفاف من الرجال والنساء فإن المودة والرحمة والسكن تتبادل بين الزوجين ويرى كل منهما في الآخر الحب المخلص والمنحة الأبدية وعنوان الرخاء فيتعلق كل منهما بالآخر حتى النهاية. وقد ذكر صاحب كتاب «المعرفة الجنسية» حقيقة طول فترة السعادة الزوجية لذوي العفة من الرجال فيقول: «لقد عرفت بحكم معرفتي شيوخاً ناهزوا الخامسة والسبعين لم يعترِ قابليتهم الجنسية وهن، ولما سألتهم عن سر هذه الحيوية العجيبة ردوا بأن احتفاظهم بنشاطهم يرجع إلى العوامل التالية:

١ ـ لم يدعوا العادة السرية تتملكهم وهم فتيان.

٢ ـ عندما بلغوا مبلغ الرجال صانوا أنفسهم فما تعرضوا في حماة الرذائل.

٣ ـ بعد الزواج لزموا حد الاعتدال فما أفرطوا في قواهم ولا اختزنوها مدة طويلة.

٤ ـ لم يستعملوا المخدرات والكحول والدخان.

٥ ـ ما لجئوا قط إلى المقبلات الصناعية وما قربوا نساءهم إلا وهم في صحة جيدة[3].

---

(١) حديث النفر الثلاثة رواه البخاري في كتاب الأنبياء ومسلم في كتاب الرقاق.

(٢) أخرجه أبو يعلى في «معجمه» (٢١٥) والطبراني في «الكبير» (١٩/٤١٦) من حديث معاوية بن حيدة قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/٤٢٣): اسناده حسن» قلت: في اسناده أبو حبيب القنوي قال المنذري في «الترغيب» (٢/٢٤٩): لا يحضرني حاله» وقال الهيثمي في «المجمع» (٥/٢٨٨) لم أعرفه».

(٣) التدابير الواقية من الزنا ـ د. فضل الهي.

١٠ - الاستعفاف برهان على الصبر: فالعفة في حقيقتها هي الصبر عن معصية الله، وهو من أنواع الصبر. لذا فإن جزاء الصابرين ينال ذوي العفة لاسيما الشاب صاحب الشهوة والذي لا يحافظ على عفته إلا بصبر عظيم... تصبر عيناه عن النظر الحرام... وأذناه عن السمع الحرام... ورجلاه عن السعي الحرام... وجلده عن الجسد الحرام... وفرجه عن الفرج الحرام، وقد قال رب العزة والجلال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ - الزمر ١٠ - فأجرهم وفير من رب كريم، ويكفي الصابرين أنهم في معية الله قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ - البقرة ٤٥ - بل إنهم موعودون بالجنة حين يقال لهم: ﴿.. سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ - الرعد ٢٤ -.

وقال ﷺ: «.. **والصبر ضياء**...» - رواه مسلم - فهو نور تنكشف به الظلمات والكربات[١].

وقال ﷺ: «... **ومن يتصبّر يصبّره الله، وما أعطى أحدٌ عطاء خيراً وأوسع من الصبر**» - متفق عليه -.

وقال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ - الإنسان ٧٦ -. وأجر الصابرين مضاعف، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ - القصص ٥٤ - كما أن الصابرين هم أحبّاء الله ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ - آل عمران ١٤٦ -.

١١ - العفة صون للأسرة: فهي الجزاء العادل لمن حفظ أعراض الناس أن يحفظ الله عرضه، أما من عبث بعرض غيره فإن جزاؤه من جنس عمله حيث سيجد من يعبث بعرضه وشرفه كما جاء في قصة المثل القائل: «دقة بدقة وإن زدت زاد السقا»[٢] ومن جميل ما قيل قديماً:

من كان يحرص على عرضه فليحرص على أعراض الناس.. وكل ديْن لابد له من وفاء.. ودين الأعراض وفاؤه بالأعراض.. والمرء يهتك عرضه حين يهتك أعراض الناس[٣].

---

(١) نزهة المتقين جـ١.

(٢) القصة مذكورة في كتاب عدالة السماء - محمود شيت خطاب.

(٣) عدالة السماء.

وما تهدم الكيان الأسري للمجتمعات الغربية إلا قرينة لتفشي الخيانات الزوجية، لذا فالعفة هي الأمان وهي الصون الذي يحفظ كيان الأسرة.

● وهذا قول جامع لثمرات الاستعفاف والتي هي باب من أبواب ترك المعاصي: يقول عبدالفتاح أبوغدة في تعليقه على كتاب«رسالة المسترشدين»ص ١٥٦ : «فسبحان الله رب العالمين لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا: إقامة المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذي جعله الله قواماً لمصالح الدنيا والآخرة ومحبة الخلق، وجواز القول بينهم وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقوة القلب، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانشراح الصدر، والأمن من مخاوف الفساق والفجار، وقلة الهم والغم والحزن، وعز النفس عن احتمال الذل، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وحصول المخرج لمتقي الذنوب ما ضاق على الفساق والفجار وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب، وتيسير العلم والثناء الحسن من الناس، وكثرة الدعاء له، والحلاوة التي يكتسبها وجهه، والمهابة التي تلقى له في قلوب الناس وانتصارهم وحميتهم له إذا أوذي أو ظلم، وذودهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التي بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبعد شياطين الإنس والجن عنه، وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه وخطبتهم لمودته وصحبته، وعدم خوفه من الموت بل يفرح به لقدومه على ربه ولقائه له ومصيره إليه وصغر الدنيا في قلبه وتعظيم الآخرة عنده، وحرصه على الملك الكبير والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة، ووجد حلاوة الإيمان، ودعاء حملة العرش له ومن حوله من الملائكة، وفرح الكاتبين به ودعاؤهم له في كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته وحصول محبة الله له، وإقباله عليه وفرحه بتوبته: لكفى باعثاً له على ترك الذنوب والمعاصي. وهكذا يجازيه الله بفرح وسرور لا نسبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه».

الفصل الثاني: نماذج الاستعفاف

النموذج الأول: يوسف عليه السلام

النموذج الثاني: شبيه يوسف عليه السلام

النموذج الثالث: اتق الله ...

النموذج الرابع: الفدائي العفيف

النموذج الخامس: الصاحب العفيف

النموذج السادس: صبر وعفاف

النموذج السابع: «إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا»

النموذج الثامن: «إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم»

النموذج التاسع: «إني أخاف الله رب العالمين»

النموذج العاشر: المحب العفيف

نمـاذج الاستعفاف

الأول: نموذج يوسف عليه السلام

(شاب في ريعان الشباب، مكتمل الرجولة، رائع الفتوة، تدعوه إلى نفسها امرأة ذات منصب وجمـال، والأبـواب مغلقـة، والسبـل ميسرة كما حكى القـرآن الكريم: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ - يوسف ٢٣ .

فماذا كان موقفه أمام هذا الاغراء وتلك الفتنة التي تخطف الأبصار هل لانت نفسه فاستسلم وخان عرضا اؤتمن عليه؟ كلا إنما قال: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يوسف ٢٣ .

ولقـد حاولت امـرأة العـزيز بكيدهـا ومكرها وبكل ما لديها من ألوان الإغراء والتهديد أن تذيب من صلابته وتضعضع من شموخه، وأعلنت ذلك للنسوة في ضيق وغيظ: ﴿ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ - يوسف ٣٢ -.

ولكن الشاب يوسف عليه السلام اتجه بكليته إلى الله يسأله المعونة والعصمة: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ - يوسف ٣٣ -.

كانت فتنة بين ضمير المؤمن وخشيته الربانية ومغريات الإثم ففشلت المغريات وانتصر الإيمان[1] .

ولنا بعض الوقفات مع هذا الموقف:

الوقفة الأولى: ان الاستعانة بالله واللجوء إليه والاستعاذة به والفرار إليه هي من أقوى أسباب العفة والنجاة من الخطيئة، ولقد تجلى ذلك في قوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ قال أبوالسعود: «وهذا إشارة إلى أنه منكر هائل يجب أن يعاذ بالله تعالى للخلاص منه»[2] .

---

(١) مسؤولية التربية الجنسية - عبدالله علوان

(٢) صفوة التفاسير جـ٢

كما ظهر ذلك في مناجاته عليه السلام حين قال: ﴿ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ فظهرت ثمار الاستجابة الربانية ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ وهذا التابعي الجليل عامر بن عبدالله يدعو الله أن يعصمه فيقول: «لم يكن شيء أخوف عليّ في ديني من النساء فسألت ربي أن ينزع من قلبي حبهن[1] فاستجاب لي حتى صرت لا أبالي امرأةً رأيت أم جداراً»[2].

الوقفة الثانية: عدم الاغترار بالنفس والركون إلى ما لديها من الإيمان والتقوى وعدم الثقة الزائدة بها، مما يجرىء على اقتحام الفتن والخوض بها على أمل عدم الافتتان.. بل إن الأولى في حق المؤمن هو اتهام النفس والخوف من انزلاقها حتى تبقى جذوة الإيمان مشتعلة ويبقى الحذر دائماً ويكون الاعتزال وترك مواطن الفتنة هو سبيل الوقاية وقد ظهر ذلك في قوله عليه السلام وهو نبي الله وصفوته من خلقه ﴿ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ.. ﴾.

الوقفة الثالثة: حول قضية «همَّت به وهمَّ بها»: فإن من الأقوال الراجحة والتي تستقيم مع مقام النبوة وسياق الآيات في قوله: «ولقد همَّت به» أي همت بمخالطته عن عزم وقصد وتصميم، وأما قوله تعالى: «وهمّ بها» فقد قيل:

* أي مالت نفسه بمقتضى الطبيعة البشرية دون عزم وقصد[3] قال الإمام الفخر: «الهم خطور الشي بالبال أو ميل الطبع كالصائم في الصيف يرى الماء البارد فتحمله نفسه على الميل إليه وطلب شربه ولكن يمنعه دينه عنه».
* وقال صاحب «البحر»: ان الهمّ لم يقع من يوسف عليه السلام البتة بل هو منتفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: «قارفتُ الذنب لولا أن عصمك الله» وكقول العرب «أنت ظالم إن فعلت» وتقديره: إن فعلت فأنت ظالم، وكذلك هنا التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ولكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهم.

---

(١) المقصود: الافتتان بالنساء اللاتي لا يحللن له.

(٢) صور من حياة التابعين ج٢.

(٣) صفوة التفاسير ج٢.

الوقفة الرابعة: التساهل في دخول الرجال والخدم للبيوت من أسباب وقوع كثير من الحوادث التي تسببت في انتهاك الأعراض سواءً من المرأة أو الرجل، كما أن ضعف الغيرة لدى الرجل على عرضه هي من دواعي جرأة المرأة وتحللها من سترها، ويظهر أن العزيز كان من هذا الصنف من الرجال، قال ابن كثير: «كان زوجها لين العريكة سهلا أو أنه عذرها لأنها رأت ما لا صبر لها عنه»[1].

الوقفة الخامسة: الصحبة السيئة من أسباب انحراف المرء، وظهر ذلك في دعوة نسوة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام بأن يطاوعها فيما أرادت بعد أن رأينه وبعد أن صرحت هي لهن برغبتها الشاذة ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ فما كان منهن إلا أن شاركنها بالرغبة، وظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ...﴾.

في حين أنهن لو كنّ صالحات لنصحنها وذكرنّها بالله بل ووبخنها على فعلتها وهجرن مجلسها إن أصرت وربما كان في ذلك رادعاً لها.

الثاني: شبيه يوسف:[2]

كان فتىً من أهل المدينة يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عمر يتفقده إذا غاب، فعشقته امرأة من أهل المدينة، فذكرت ذلك لبعض نسائها، فقالت أنا أحتال لك في إدخاله عليك، فقعدت له في الطريق، فلما مر بها قالت له: إني امرأة كبيرة السن ولي شاة لا أستطيع أن أحلبها فلو دخلت فحلبتها لي، وكانوا أحرص ما يكون على الخير، فدخل فلم ير شاة، فقالت اجلس حتى آتيك بها فإذا المرأة قد طلعت عليه، فلما رأى ذلك عمد إلى محراب في البيت فقعد فيه، فأرادته عن نفسه فأبى وقال: اتق الله أيتها المرأة، فجعلت لا تكف عنه ولا تلتفت إلى قوله، فلما أبى عليها صاحت عليه، فجاءوا فقالت: إن هذا الرجل دخل عليَّ يريدني عن نفسي، فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه، وأوثقوه.. فلما كان الغداة وصلى عمر بالناس

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير.

(٢) روضة المحبين - ابن القيم.

فقـده فبينما هو كذلك إذ جاءوا به في وثاق، فلما رآه عمر قال: اللهم لا تخلف ظني فيه، قال: ما لكم؟ قالوا: استغاثت امرأة بالليل فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها فضربناه وأوثقناه، فقال عمر رضي الله عنه أصدقني . . ، فأخبره بالقصة على وجهها، فقال له عمر: أتعرف العجوز؟ فقال: نعم إن رأيتها عرفتها، فأرسل عمر إلى نساء جيرانها وعجائزهن فجاء بهن، فعرضهن فلم يعرفها فيهن، حتى مرت العجوز فقال: هذه يا أمير المؤمنين، فرفع عليها الدِّرَّة وقال: أصدقيني، فقصّت عليه القصة كما قصها الفتى، فقال عمر: الحمدلله الذي جعل فينا شبيه يوسف.

الثالث: «اتق الله..»

رجل من الثلاثة الذين دخلوا إلى غار، فانحدرت من الجبل صخرة فسدّت عليهم الغار، فقالوا: لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال ذلك الرجل في الحديث المتفق عليه:ـ

«اللهم إنه كانت لي ابنة عم، كانت أحبُّ الناس إلي ـ وفي رواية ـ وكنت أحبها كأشد مما يحب الرجال النساء، فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني لعشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها ـ وفي رواية ـ فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة).

فهذا رجل قد أوشك على مقارفة الفاحشة، ولم يبق بينه وبينها إلا شيء يسير ولكن الإيمان في قلبه تيقظ بكلمة «اتق الله» فانتبه إلى قبح ما هو مقدم عليه، وتذكر الله فوقه، ينظر إليه، فانتصر الإيمان على الشهوة، وقام عنها وهي أحب الناس إليه.

فيالله . . ما للإيمان من سمـو، ورفعـة وعـزيمـة وصلابة ترفع الإنسان من حضيض الشهوة إلى علو العفاف والطاعة والطهارة.

الرابع: الفدائي العفيف:

وهذه قصة لصحابي هو مرثد بن أبي مرثد تحكي نموذجاً للعفة: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان رجلاً يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، قال وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية، وانه واعد رجلاً من أسارى مكة يحمله. قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة. قال فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي تحت الحائط. فلما انتهت إليّ، عرفتني فقالت: مرثد؟ فقلت: مرثد. فقالت: «مرحباً وأهلا هلم فبت عندنا الليلة». قال: فقلت: يا عناق حرم الله الزنا، فقالت: «يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم». قال: فتبعني ثمانية ودخلت الحديقة فانتهيت إلى غار، أو كهف، فدخلت فيه، فجاؤوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي فأعماهم الله عني، ثم رجعوا فرجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهيت إلى الإذخر، ففككت عنه أحبله، فجعلت أحمله ويعينني حتى أتيت به المدينة، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله: «أنكح عناقاً؟ أنكح عناقاً؟» ـ مرتين ـ فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد عليّ شيئاً، حتى نزلت ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً..﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**يا مرثد، الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة فلا تنكحها**»[1] رواه الترمذي وأبوداود والنسائي.

فهو على الرغم من الشدة والمحنة التي لحقت به.. وعلى الرغم من حبه لتلك المرأة بدليل أنه استأذن رسول الله ﷺ بنكاحها.. وعلى الرغم من أنها هي التي دعته وكان بإمكانه أن ينجو بنفسه ويستتر عن القوم عندها إلا أنه قالها بكل صراحة: «يا عناق حرم الله الزنا» ولم يرض حتى باللجوء لبيتها، بل قطع دابر الفتنة والشبهة وقالها بقولة المؤمن العفيف.

الخامس: الصاحب العفيف

رجل يرافق امرأة في هجرتها أياماً متتالية، ويضرب مثالاً لعفة الرجال

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي من طريق عبيدالله بن الأخنس عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به

وقال الترمذي: حسن غريب.

قلت: وهو كما قال فإن رجاله ثقات غير عمرو بن شعيب عن أبيه وهما صدوقان كما في «التقريب».

وشهامتهم، تلك هي أم سلمة تروي قصة هجرتها فتقول: «وحبسني بنوالمغيرة عندهم وانطلق زوجي أبوسلمة إلى المدينة، قالت: ففرّق بيني وبين ابني وبين زوجي. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريباً منها، حتى مرّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني. فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة، فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟ قالت: فقالوا لي: إلحقي بزوجك إن شئت. قالت: فردّ بنوعبدالأسد إليّ عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. قالت: وما معي أحد من خلق الله حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبدالدار. فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قلت: ما معي أحد إلا الله وبني هذا. فقال: والله مالك من مترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوى بي[1]، فوالله! ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه. كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه، ثم قيّده في الشجر ثم تنحى إلى شجرة فاضطجع تحتها. فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحّله، ثم استأخر عني وقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة. فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية ـ وكان أبوسلمة بها نازلاً ـ فادخليها على بركة الله. فكانت أم سلمة تحفظها له وتقول: «ما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة»[2].

السادس: صبر وعفاف[3]

ضرب عبدالملك بن مروان بعثاً إلى اليمن فأقاموا سنين حتى إذا كان ذات ليلة وهو بدمشق قال: والله لأعسّن الليلة المدينة (دمشق) ولأسمعن الناس ماذا يقولون في البعث الذي أغزيت فيه رجالهم، وأغرمتهم أموالهم.

---

(١) أي يسرع بي.

(٢) حياة الصحابة ج١.

(٣) «بانتظار حورية من الجنة»

فبينما هو في أزقتها إذ هو بصوت امرأة قائمة تصلي فتسمَّع إليها، فلما انصرفت مضجعها قالت: اللهم مسيِّر النُّجب ومُنزِّل الكتب ومعطي الرَّغب، أسألك أن ترد لي غائبي فتكشف به همي وتقر به عيني، وأسألك أن تحكم بيني وبين عبدالملك بن مروان الذي فعل بنا هذا ثم أنشدت تقول:

تطاول هذا الليل فالعين تدمع ... وأرقني حزن لقلبي موجع
فبتُّ أقاسي الليل أرعى نجومه ... وبات فؤادي بالهوى يتقطع
إذا ما تذكرت الذي كان بيننا ... وجدت فؤادي حسرة يتصدع
وكل حبيب ذاكر لحبيبه ... يرجى هواه كل يوم ويطمع
فذا العرش فرج من صبابتي ... فأنت الذي تدعو العباد فيسمع
دعوتك في السراء والضرّ دعوةً ... على حاجة بين الشراسيف تلذع

فقال عبدالملك لحاجبه: تعرف هذا المنزل؟ قال: نعم، هذا منزل يزيد بن سنان، قال فما المرأة منه؟ قال: زوجته، فلما أصبح سأل: كم تصبر المرأة عن زوجها؟ قالوا: ستة أشهر.

فهذه المرأة العفيفة لم تجد لها ملجئاً وملاذاً إلا ربها ومولاها تشكو إليه حاجتها وفراق زوجها عنها... وتستعين على ذلك بالصبر والصلاة والدعاء.

السابع: «... اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا..»[1].

وعن الحسن البصري قال: كان بالمدينة فتىً يعجب عمر بن الخطاب رضي الله عنه شأنه. فانصرف ليلة من صلاة العشاء فتمثلت له امرأة بين يديه.. فعرضت له بنفسها ففتن بها، ومضت فاتبعها حتى وقف على بابها، فأبصر وجَلاً عن قلبه. وحضرته هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ - الأعراف ٢٠١ - فخر مغشياً عليه

فنظرت إليه المرأة فإذا هو كالميت، فلم تزل به هي والجارية حتى ألقياه على باب داره، فخرج أبوه فرآه ملقياً على باب الدار. فحمله وأدخله فأفاق فسأله: ما

(١) بانتظار «حورية من الجنة».

أصابك يا بني؟ فلم يخبره، فلم يزل به حتى أخبره فلما تلا الآية شهق شهقة فخرجت نفسه.

فبلغ عمر رضي الله عنه قصته، فقال: ألا آذنتموني بموته؟!.. فذهب حتى وقف على قبره فنادى: يا فلان ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ - الرحمن ٤٦ -، فسمع صوتاً من داخل القبر: قد أعطاني ربي يا عمر.

الثامن: إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم[1]

عن ابراهيم النخعي قال: كان بالكوفة فتىً جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد.. فنزل في جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارية منهم، جميلة فهويها وهام بها عقله، ونزل بالجارية ما نزل بالفتى.. فأرسل يخطبها من أبيها.. فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها.. فلما اشتد عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى، أرسلت إليه الجارية:

«قد بلغني شدة محبتك لي، وقد اشتد بلائي بك.. فإن شئت زرتك، وإن شئت سهّلت لك أن تأتيني إلى بيتي.. فقال للرسول ولا واحدة من هاتين الخلتين.. ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ - الأنعام ١٥. أخاف ناراً لا يخبو سعيرها.. ولا يخمد لهيبها.. فلما أبلغها الرسول قوله قالت: وأراه مع هذا يخاف الله؟! والله ما أحد أحق بهذا من أحد وإن العباد فيه لمشتركون... ثم انخلعت من الدنيا وألقت علائقها خلف ظهرها وجعلت تتعبد.

التاسع: «إني أخاف الله رب العالمين»

ومن العصر الحديث تظهر لنا نماذج العفة كثمار طيبة للدعوة الإسلامية في القرن العشرين دعوة «الإخوان المسلمون» فيذكر الإمام حسن البنا رحمه الله في مذكرات الدعوة والداعية عن ذلك فيقول: (وهذا الأخ عبدالعزيز علام البني الهندي الذي يعمل «ترزياً» في المعسكر الإنجليزي تدعوه زوجة أحد كبار الضباط لبعض

---

(١) المرجع السابق.

الأعـمال الخـارجية بمهنتـه لتنفرد به في المنزل وتغريه بكل أنواع المغريات فيعظها وينصح لها ثم يخوفها ويزجرها. فتهدد بعكس القضية تارة وبتصويب المسدس إلى صدره تارة أخـرى وهـو مع ذلك لا يتزحزح عن موقفه قائلاً: إني أخاف الله رب العالمين. وكم كان جميلاً ومضحكاً في وقت واحد أن توهمه في إصرار أنها قد قررت قتله وستعتذر عن ذلك بأنه هاجمها في منزلها وهمّ بها، وتصوب المسدس إليه فيغمض عينيه ويصرخ في يقين «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فتفاجئها الصيحة ويسقط المسدس على الأرض ويسقط في يدها فلا ترى إلا أن تدفعه بكلتا يديها إلى الخارج حيث يظل يعدو إلى دار الاخوان المسلمين).

هكذا كان أولئك الأخوان، وحوادثهم في هذه المعاني كثيرة ومن أجل ذلك بارك الله الدعوة التي استنارت بها مثل هذه القلوب وصدق الله العظيم ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

العاشر: المحب العفيف

ذكر الأستاذ محمود النجيري في كتاب «بانتظار حورية من الجنة» هذه الرواية: حدّثني بعض إخواني قال:

نشأنا سوياً منذ نعومة أظفارنا، فقد جمع عائلتينا علائق الود والصفاء، وكنت أنا أرتع معها في براءة الطفولة، وأشاركها لعبها ولهوها الغض.

ودارت بنا الأيام على تلك الحال.. حتى انسلخنا من عهد الطفولة الرخي وبدأنا ندخل عهداً جديداً في ألوانه وإحساساته ومشاهده.

بدأت هي تظهر عليها ملامح الأنوثة الفياضة.. وأنا أدخل في طور الشباب، وطبيعة الحال فقد حجبها أهلها ولم يعد ير أحدنا الآخر إلا لماماً.

وافتقدتها كرفيقة اعتدت صحبتها دوماً، وظننت أني لا آبه لفراقها.. إلا أنني

(١) مذكرات الدعوة والداعية ص ٧٦.

لمست في نفسي ميلاً جارفاً نحوها وحباً عارماً لشخصها. . كيف وقد درجنا سوياً، ونمت عواطفنا مع نماء أجسادنا، كنت أعلم يقيناً أنها تحبني أيضاً. . لكنني عففت، وحفظني عقلي فسكت. . وتوجهت إلى ربي بكل كياني ونفسي. . أرعى حرمه، والتزم حدوده وأنتهج شرعه. . وعزمت في نفسي أن أتزوجها حينما يتيسر الأمر.

والحق أنني جاهدت نفسي جهاداً طويلاً حتى أقمع ذلك الشوق الجارف إليها وألطف من ذلك الحنوّ العظيم نحوها. . وربط الله على قلبي وألهمني الصبر.

وعِفَّ في الحُبِّ ولا تبدِه واصبر وكاتم غاية الجهد
فإن تمت محتسبا صابرا تفز غداً في جنة الخلد

وذات يوم وبينما أنا في بيتي وليس فيه غيري. . إذ دخلت علي هي بجمالها وبهائها، بجلالها وعنفوانها. . واتجهت صوبي باسطة كفها، وتخطف بصري جمالها الأخّاذ وسحرها الفتّان، وهممت بمصافحتها والإقبال عليها. . لكنني تذكرت أن هذا ليس من حقي. . فغضضت من طرفي. . وجمّدت يدي وأدرت لها عطفي وقلت: «ليس أحد بالمنزل. . أو ما تعلمين ذلك؟». . فأجابت في صوت متهدج متقطع: «بلى، أعلم ذلك جيداً. . ولذا أتيت. . إنك لا تدري ما أصابني بعدك. . إنني. . إنني»، وانقطع كلامها ببوادر بكاء.

ووقفت جامداً لا أدري ما أقول وما أفعل. . وظللت للحظة أدافع نفسي عن أشياء كثيرة أرادتها. . لقد كانت هذه الخلوة وضعاً خاطئاً. . ثم إن الشيطان قد بدأ ينسج خيوطه. . ويوري ناره، يجب ألا أهن منذ البداية، وأن أقطع دابر الغواية. . فترفقت وقلت لها: «لا أحد بالمنزل. . هل تفهمين؟. . لا أحد بالمنزل. . ».

كنت أعلم أن كلامي سيكون وقعه شديداً عليها. . ولكن لا مخرج إلا بذاك، وصح ظني فقد استدارت مخنقة وخرجت.

فحمدت الله وتمثلت قول الشاعر:

واسوأتا لفتىً له أدب يضَحْى هواهُ قاهراً أدَبَه
يأتي الدنيّةَ وهو يَعرِفُها فيشين عِرضاً صائناً أرَبَه
فإذا ارعوى عادت بصيرَتُهُ فبكى على الحينِ الذي سُلِبَه

قواعد منهج الاستعفاف

الفصل الثالث: القواعد الارشادية التربوية

القاعدة الأولى: التربية الروحية

القاعدة الثانية: التربية الأخلاقية

القاعدة الثالثة: التربية الفكرية

قواعد منهج الاستعفاف

وهذا المنهج نقدمه لذلك المؤمن الذي يخاف على إيمانه أن يضعف وعلى نفسه أن تهلكه والذي يخشى أن تضعف إرادته في ساعة من الساعات. . . نقدمه لذلك المؤمن الذي يعيش في مجتمعنا الذي تغشاه الفتن من كل مكان، ولا يكاد ليسلم منها إلا من رحم الله. . . نقدمه لمن يطمع في نعيم الجنة الذي لا يفنى وحورياتها الحسان اللاتي أعدهن الله وأنشأهن إنشاءً فجعلهن أبكاراً عرباً أتراباً لأصحاب اليمين.

. . . نقدمها للقابض على دينه فهو كالقابض على الجمر، نقدم هذا المنهج الذي يقوم على عدة قواعد، منها قواعد إرشادية تربوية وأخرى وقائية. . .

ولكن لنا شرط هام للانتفاع به. . . بدون هذا الشرط لا فائدة ترجى من قراءة هذا البحث إلا حجة نلزم بها أنفسنا أمام الله تبارك وتعالى. . . !!

الشرط هو توفر الإرادة القوية، والعزيمة الصادقة، والهمة العالية لتطبيق تلك القواعد.

وهذه القواعد منها ما تقع مسؤولية تطبيقه على الحكومات ومؤسساتها الرسمية، ومنها ما هو من واجب المؤسسات الإصلاحية والدعاة والمصلحين، ومنها ما هو من مسئولية الأسرة والوالدين بصفة خاصة ومنها ـ وهو الغالب ـ ما هو من مسئولية الفرد بنفسه. ونبدأ بالقواعد الإرشادية التربوية:

القاعدة الأولى: التربية الروحية

وغايتها عقد الصلة الدائمة بين الإنسان وبين الله في كل لحظة من اللحظات تحقيقاً لاستقامة حياة الإنسان وخضوعها للمنهج الإسلامي في جميع تفريعاتها وتفصيلاتها. إن شعور الإنسان بأن الله قريب منه يسمعه ويراه، يحصي سيئاته وحسناته، يبعث في نفسه الرهبة والرغبة والاطمئنان. . .

الرهبة من مخالفة أمر الله وعصيانه، والرغبة في رحمته ورضوانه، والاطمئنان إلى عدله وإحسانه، ولعل الآيات أعظم معبر لذلك الشعور:-

* ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ - الأنعام ٣ -.
* ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ - غافر ١٩ -.
* ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ - طه ٧ -.
* ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ - ق ١٦ -.

(ذلك أن المؤمن إذا تربى على الإيمان بالله سبحانه وتعالى ومراقبته في السر والعلانية وخشيته في المنقلب والمثوى فإنه يصبح إنساناً سوياً وينشأ شاباً تقياً. . لا تستهويه مادة، ولا تستعبده شهوة، ولا يتسلط عليه شيطان ولا تعتلج في أعماقه وساوس النفس الأمّارة، فإذا دعته امرأة ذات منصب وجمال قال: إني أخاف الله رب العالمين، وإذا وسوس له شيطان، قال: ليس لك عليّ سلطان، وإذا زين له قرناء السوء طريق الفحشاء والمنكر قال: لا أبتغي الجاهلين)[1].

ومن أجل تحقيق هذه المعاني في أعماق الإنسان، شرع الإسلام العبادة لتربية وتنمية هذه الروح التي يرتقي بها الإنسان دائماً إلى الأعلى: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ - البقرة ١٨٣ - وقال تعالى في أثر الصلاة على العبد ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ - العنكبوت ٤٥ - وسر ذلك - والله أعلم - أن العبادة في الإسلام تنصب - على تعدد أنواعها لإصلاح القلب وإحيائه فإن حياة القلب ويقظته حياة النفس ويقظتها وحياة الضمير ويقظته وأن موت القلب وغفلته، موت الضمير وغفلته، وانعدام الخير وانطفاء النور في أعماق النفس البشرية، وصدق المصطفى عليه السلام عندما قال: «**إن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي: القلب**» - متفق عليه -.

---

(١) مسؤولية التربية الجنسية - عبدالله علوان.

ومن وسائل تنمية الناحية الروحية لدى الشاب المؤمن والمؤمنة:

(١) **الصيام**: وهو وجاء ووقاية كما أخبر بذلك الرسول ﷺ: «... **ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» أي قاطع للشهوة وهذا هو أثر الصوم أن يكسر حدة الغريزة، ويقوّي معنى المراقبة لله والخشية منه، وتقوى به إرادة المؤمن لفعل الخيرات، وترك المنكرات وتضعف في نفسه إرادة الشر والشهوات، خصوصاً إذا داوم عليه الشاب المؤمن وذلك لحديث الرسول ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**» ـ متفق عليه ـ.

وما أكثر ما رغب الإسلام في الصيام، فقد شرع منه: صيام الاثنين والخميس حيث ترفع فيهما الأعمال إلى الله، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر كصيام الدهر كله، وصيام الستة من شوال، وصيام عاشوراء، ومنه صيام لتسكين الشهوة، وذلك بأن يتحرى الشاب الأوقات التي يجد أن لشهوته فيها حرارة، ولغريزته فيها حدة فيكسرهما بالصيام قبل أن تثورا، ولعل هذا من أقوى طرق الاستعفاف.

(٢) **ومنها التربية على العقيدة الإسلامية**: وذلك بغرس معانيها العظيمة الأثر في النفوس من معرفة صفات الله جل وعلا وأسمائه الحسنى بأنه هو السميع البصير، العليم الخبير، شديد العقاب، ومن إدراك حقيقة البعث والحساب والميزان والوقوف بين يدي الله، وظلمة القبر وعذابه، وإدراك حقيقة وجود الملائكة وملازمتهم للمؤمن لا يغيبون عنه إلا في الخلاء والجماع، والذين هم ﴿ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ ـ الانفطار ١١ ـ وإنها تقترب من الطيب وتبتعد عن الخبيث.

كل هذه المعاني تنمي التقوى والحياء والخوف والرجاء والخوف في نفس الشاب المؤمن، وهذا مثال عملي لنرى كيف كان السلف الصالح يتربون على تقوية معاني العقيدة في نفوسهم:

قال سهل بن عبدالله التستري: كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي (محمد بن سوار) فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره قال: قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك

لسانك: «الله معي، الله ناظر إلي، الله شاهدي» فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة فقلته فوقع على قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه وناظراً إليه وشاهده أيعصيه. . . ؟! (إياك والمعصية).

ومما ورد عن التابعي الجليل «الربيع بن خثيم» قوله: «إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك وإذا هممت فاذكر علمه بك وإذا نظرت فاذكر نظره إليك وإذا تفكرت فاذكر اطلاعه عليك فإنه يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾». ـ الاسراء ٣٦ ـ

وذلك يكون بإمعان النظر في كتاب الله والتدبر في آياته وكذلك بدراسة السنة المطهرة وباستدامة الرجوع للكتب الروحية مثل كتاب «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» و«الجواب الكافي» و«مدارج السالكين» و«عالم الملائكة الأبرار» و«العقيدة في الله»، وغيرها.

(٣) الإكثار من ذكر الله: والذكر هي العبادة الوحيدة التي اقترنت بالكثرة قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ـ الجمعة ١٠ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾ ـ آل عمران ٤١ ـ بل إن من صفات المنافقين الإقلال من الذكر ﴿. . وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ـ النساء ١٤٢ ـ.

ولعل من أسرار ذلك ـ والله أعلم ـ أنه بالمداومة والإكثار والتدبر للذكر تتحقق منافعه وتُلمس آثاره خلافاً للمقل من الذكر والمكثر من الغفلة، وللذكر منافع تربوية عديدة منها:

* وجل القلب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ـ الأنفال ٢ ـ.
* الذكر طريق التوبة والانتباه من الغفلة قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ ـ آل عمران ١٣٥ ـ.

* اطمئنان القلب، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ - الرعد ٢٨ -.
* الغفلة عن الذكر استجلاب لنزغات الشيطان ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ - الزخرف ٣٦ -.

وإن من الوسائل العملية لعبادة الذكر:

● الإكثار من الجلوس في رياض الجنة (مجالس الذكر) ولذلك الأمر أثر عظيم في إسباغ السكينة والطمأنينة والإيمان في قلب الشاب المؤمن، كيف لا والملائكة تحفه بأجنحتها وتستغفر له في الملأ الأعلى. فليحرص الشاب المؤمن على أمثال هذه الجلسات حتى لا يفوته شيء منها.

● ومنها كذلك إكثار الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة إلى الصلاة ولهذه المسألة تأثير عجيب على نفس المؤمن خصوصاً إذا أحسن استغلال وقته بقراءة القرآن والإكثار من ترديد الأدعية المأثورة، والإدمان على الذكر الذي هو سلاح المؤمن الذي متى غفل عنه فقد هلك، فالشيطان يفر من الإنسان الذاكر كما يفر الإنسان من الأسد. والنفس تطمئن بذكر الله. فليحرص المسلم على أدعية اليوم والليلة وترديدها دائماً بتأمل وتدبر. وعلى الأوراد المأثورة في الأذكار بعد الصلوات وخلال اليوم كله من تسبيح لله وتحميد وتكبير وتهليل واستغفار فإن ذلك يجعل المسلم موصولاً بالله، متذكراً أياه محباً له متشوقاً إلى لقائه سبحانه وتعالى.

● ومنها المحافظة على تلاوة القرآن وحفظه فإنه من أجلّ الذكر وأرفعه.

(٤) **استدامة المواظبة على النوافل** بأنواعها: من نوافل الصلاة والصدقة والعمرة، وإدمان النظر في كتاب الله والمواظبة على تلاوته أثناء الليل وأطراف النهار، وذلك لينال المؤمن شرف محبة الله له، وياسعادة من بلغ هذه المنزلة فإنه سيأمن على نفسه من المعصية، كيف لا؟! والله قد تكفل بحفظ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وذلك مصداقاً للحديث القدسي «ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه» - رواه البخاري -.

(٥) التردد على المقابر وشهود الجنائز بين الفينة والأخرى فإن ذلك كفيل بأن يذكر المؤمن بوحشة القبر وظلمته وبأن يرعبه ضيقه وديدانه، وبأن تذكره بالآخرة. مصداقاً للحديث «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكر الآخرة»[1] كل ذلك من وسائل التربية له ثمرة هي رأس الخير ألا وهي التقوى، فتقوى الله تقي الإنسان من الشيطان: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ - الأعراف ٢٠١ -.

وهذه التربية الإيمانية لها غايات في إصلاح النفس المؤمنة:

- فمن غاياتها: إيجاد الرغبة في الله، والرغبة فيما عنده سبحانه وتعالى فهما أصل السعادة والعصمة من الزلل، يقول ابن القيم «وأما الرغبة في الله وارادة وجهه والشوق إلى لقائه فهو رأس مال العبد وملاك أمره وقوام حياته الطيبة وأصل سعادته وفلاحه ونعيمه وقرة عينه، ولذلك خلق وبه أُمر، وبذلك أرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب، ولا صلاح للقلب إلا بأن تكون رغبته إلى الله عز وجل وحده فيكون هو وحده مرغوبه ومطلوبه ومراده كما قال الله تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾»[2] - الانشراح ٧/٨ -.
- ومن غاياتها: معرفة الله تبارك وتعالى، والتي من علاماتها الهيبة، فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ - فاطر ٢٨ - ولذا كان سيد الخائفين من الله والمتقين له هو سيد العارفين بالله، محمد ﷺ حيث قال: «أنا أعرفكم بالله وأكثركم له خشية» - رواه الشيخان -.

وهذه المعرفة تورث الحياء من الله والتعظيم له، ومراقبته والإنابة إليه في كل حين.

- ومن غايتها: محبة الله والشوق إلى لقائه، فمتى ما استقرت في قلب المؤمن محبة الله فلن يأنس إلا في طاعته ولن يسعد إلا بذكره، وسيستقل له الكثير من الطاعة، وسيعانق العبادة ويفارق المعصية... وسيمتلىء قلبه بإيثار رضاه عن من سواه... ولن يأنس إلا بحفظ حدوده والتزام أوامره لذا فقد وصفهم الله تعالى: ﴿... وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ - البقرة ١٦٥ - قال الجنيد: سمعت الحارث المحاسبي

(١) صحيح الجامع الصغير ٤٤٦٠.

(٢) روضة المحبين ٤٠٨.

يقول: المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه»[1] وعندما سئل الجنيد عن المحب لله دمعت عيناه.. وأطرق رأسه ثم قال: «عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه فإن تكلم فبالله وإن نطق فعن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فمع الله. فهو بالله ولله ومع الله»[2].

ومن دلائل صدق المحبة اتباع النهج النبوي كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ـ آل عمران ٣١ ـ، وقال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى محبته ثم لم يحفظ حدوده «والمحبة شجرة في القلب عروقها الذل للمحبوب، وساقها معرفته، وأغصانها خشيته، وورقها الحياء منه وثمرتها طاعته ومادتها التي تسقيها ذكره، فمتى خلا الحب عن شيء من ذلك كان ناقصاً»[3].

وختاماً.. فأنّى لمن عرف الله... فأحبه... ورغب فيه وفيما عنده أن يعصيه...؟!

القاعدة الثانية: التربية الأخلاقية

● الأخلاق هي صفة مستقرة في النفس فطرية كانت أو مكتسبة، ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة، ولذا فإننا نستطيع أن نقيس مستوى الخلق النفسي عن طريق قياس آثاره في سلوك الإنسان، فالصفة الخلقية المستقرة في النفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة، وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة، وعلى قدر قيمة الخلق في النفس تكون ـ بحسب العادة ـ آثاره في السلوك[4] ولذا فقد عنى الإسلام بالتربية الأخلاقية عناية كبيرة فجعلها قرينة للإيمان ودليلاً عليه وسبباً من أسبابه وباعثاً من بواعثه بل وجزءاً من أجزائه وشعبة من شعبه.

قال صلى الله عليه وسلم: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم**

---

(١) روضة المحبين ٤١٠.

(٢) تهذيب مدارج السالكين.

(٣) روضة المحبين ٤١٦.

(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها ج١ ـ عبدالرحمن الميداني.

خياركم لنسائهم» ـ رواه الترمذي ـ[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: «**والحياء شعبة من الإيمان**» ـ متفق عليه ـ ولما كانت هذه هي مكانة الأخلاق فقد عنى الإسلام بتهذيب النفس وتزكيتها وتطهيرها من نزعات الشر والإثم وإزالة حظ الشيطان منها وتنمية فطرة الخير فيها، وذلك لتكون صالحة لغرس الأخلاق الفاضلة فيها وتهذيب طباعها، ومتى ما حصل ذلك استقام سلوك الإنسان وحسنت تصرفاته.

● والعفة من مكارم الأخلاق، ولدى التأمل في أصولها وجذورها الأخلاقية نجد أنها تتولد من مجموعة من الأخلاق هي:

١ ـ الصبر:

فمقدار ما لدى الإنسان من قدرة على الصبر فإنه بذلك يستطيع أن يضبط نفسه عن تلبية دوافعها المستثارة، فتكون العفة أثراً ومظهراً للصبر، وعلى قدر الصبر تكون العفة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ «**والصبر ضياء**» كما جاء في الصحيح، لذا فإن الإنسان ممتحن بالصبر قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا**﴾ ـ الفرقان ٢٠ ـ.

٢ ـ الخوف من العاقبة:

فإذا ما استقر في وجدان المرء عظم عاقبة الذي يفكر في ارتكابه، وإنه بذلك يسخط ربه وخالقه القادر على عقابه في أية لحظة بل قد يأخذه أخذ عزيز مقتدر وهو في ذنبه هذا، واستشعر القبر وضمته والمحشر وعذابه والصراط ودقته والميزان وفضائحه ثم الجحيم بلهيبها ونيرانها وعقرها وطول عذابها. . . كان ذلك من أقوى الدوافع للعفة.

٣ ـ الطمع بثواب الكف:

فيطمع أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. ويرجو أن لا يجمع له الله تعالى دخان جهنم مع دمعته وعفته. ويرغب بحلاوة الإيمان يجدها في قلبه عند غض بصره. ويحلم بقاصرات الطرف. . . الحور العين. . . المترقبات والمتشوقات إلى عفافه وتقواه. . . فيكون ذلك من بواعث عفته.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ١٢٤٣.

٤ ـ حب الحق وكره الظلم:

وما ارتكاب الفواحش إلا ظلم من الإنسان لنفسه ولمن شاركه وللمجتمع، فحب الحق يجعله يكف عما لا حق له فيه، كما قالت تلك المرأة لأحد الثلاثة من أصحاب الغار «. . . اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه» وخاصة أن من يظلم غيره بالزنا فإنه سيُظلم لأن الزنا دين يسدد رغماً عنه.

وجاء شاب إلى رسول الله ﷺ ـ وقال «يا رسول الله إئذن لي في الزنا» فأجابه رسول الله بحكمة المربي: «**أتحبه لأمك؟!**» قال: لا جعلنيَ الله فداك فقال ﷺ: «**فكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم**» ثم ذكر الابنة والأخت والعمة والخالة، والفتى يرد على كل واحد: «**لا جعلني الله فداك**». ثم وضع رسول الله ﷺ يده على صدره ودعا له: «**اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء أبغض اليه منه ـ يعني الزنا ـ**»[1]. فحب هذا الفتى للحق وكرهه لأن يظلم هو في عرضه دفعه إلى أن يرتدع عن ظلم غيره من الناس في أعراضهم.

٥ ـ الحيـــاء:

قال ﷺ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**» ـ متفق عليه ـ فهو يمنع صاحبه من ارتكاب القبائح والمنكرات ويردعه عن الفواحش، أما إذا انعدم الحياء فإنه يهون على الإنسان أن يفعل القبائح والمنكرات دون أن يكترث بنظر الله له ولا بما يقوله الناس عنه، كما قال ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ماشئت**» ـ رواه البخاري ـ وروى الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار**»[2] وكما قيل: «استحي من الله أن تعصيه كاستحيائك من الرجل الصالح أن يراك».

٦ ـ علو الهمة والترفع عن الرذائل:

فكلما علت همة الإنسان كانت مطالبه أسمى وصغرت في عينيه مطالب الدنيا، لذا فهو لا يدنس نفسه بالدناءات ومحقرات الأمور ولا يبذل رأس مال حياته من

---

(١) رواه أحمد باسناد جيد.

(٢) صحيح الجامع الصغير ٣١٩٤.

جهد وطاقة وعمر فيما لا جدوى منه فضلاً عن أن يبذل شيئاً من ذلك فيما فيه مضرة له أو لغيره.

فخلق علو الهمة من حسن البصر بالأمور يبعد صاحبه عن المعاصي والآثام لأنها دنيّة ومستقذرة، ويدفع صاحبه لمجاهدة نفسه عن شهواتها الجانحة تزكيةً لها وإعلاءً من شأنها ويدفع صاحبه للتسابق في ميادين الطاعات للظفر بمراتب المجد الرفيع في الآخرة لأنها إنما تنال بذلك... ومن مظاهر علو الهمة التطلع الدائم إلى الكمال والسعي إليه قدر المستطاع والنفور من النقص وكراهيته والترفع عنه والخوف من الظهور بمظهره وفي الحديث: «**إن الله رضي لكم مكارم الأخلاق وكره لكم سفاسفها**»[1].

وقد تمثلت تلك المقومات الخلقية للعفة في أعظم أمثلة العفة في تاريخ الإنسان... عفة نبينا يوسف عليه السلام (ففي يوسف الرجولة والشباب والدافع القوي، وفي امرأة العزيز الإثارة بكل قواها، جمال ومنصب، وإغراء كامل، ودعوة ملتهبة، وخلوة تامة وتهديد إن لم يستجب. ومع استيفاء كل هذه العوامل القوية تبرز فضيلة العفة في يوسف عليه السلام فيضبط نفسه بصبر منقطع النظير ويقاوم الدوافع والمغريات بإصرار وعزيمة قوية ترفعاً عن الخيانة وطلباً لمرضاة الله وينتصر خلقه العظيم في معركة الدوافع والمغريات والتهديدات)[2].

- والعفة كخلق من الأخلاق الإسلامية الحميدة هو فضيلة من الفضائل التي يمكن أن يكتسبها المسلم، كما هي طبيعة أغلب الأخلاق والفضائل فليست جبلة أو طبيعية خاصة في شخص دون شخص وإنما هي خلق مكتسب.

وقد تكلم الدكتور «عبدالكريم زيدان»، في جوهرته العظيمة كتاب «أصول الدعوة» عن قضية الأخلاق الإسلامية الحميدة هل يمكن اكتسابها أم أنها صفات لازمة تخلق في الإنسان وينطبع عليها فلا يمكنه تغييرها ولا تبديلها ولا تعديلها كما لا يمكنه تغيير صفاته الجسمية من طول وقصر ولون...؟!

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها ج٢ عبدالرحمن الميداني.

وقد أجاب حفظه الله على هذا التساؤل بما نلخصه بالتالي[1]:

١ - إن الأخـلاق الإسـلامية داخلة تحت إطـار التكليف الشرعي والتحلي بها من المأمورات الشرعية، وطالما أنه «لا تكليف إلا بمقدور» حسب القاعدة الأصولية فإن التحلي بها إذاً أمر ممكن وإلا لما أمرنا الله تعالى بالتخلق بتلك الأخلاق. وفي ذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ - الشمس ٧-١٠ -.

٢ - منهجية تقويم الأخلاق أو اكتسابها تقوم على ثلاثة وجوه:

الأول: بتقليل آثارها وعدم المضي في تنفيذ مقتضاها وما تدعو إليه كالنهي عن الغضب الذي يعتبر غريزة في الإنسان فالمقصود به هو عدم العمل بآثار الغضب وليس الغضب ذاته.

وهكذا فإن الأمر بالعفة لا يعني خلع الغريزة الجنسية وإزالتها كما خطر ببعض من أراد أن يترهبن في عهد رسول الله ﷺ بل وفكر بعض هؤلاء بالاختصاء، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك، فالمقصود هو عدم التمادي والإنقياد وراء ما تطلبه هذه الغريزة وتدفع إليه من وسائل إرضائها بالطرق المحرمة.

الثاني: بالتشذيب والتهذيب وإزالة الكدورات من أصل الخلق وتوجيهه الوجهة المرضية في الشرع الإسلامي كالشجاعة بدل أن تكون وسيلة للاعتداء وقتل الأبرياء تهذب لتكون وسيلة لإعلاء كلمة الله في الأرض.

وكالشهوة الجنسية بدل أن تكون وسيلة لاستعباد الإنسان وهتك الأعراض وإشاعة الفواحش... تُهذب وتوجه نحو الإكثار من النسل المسلم وتكوين الأسرة المسلمة بالزواج من المرأة الصالحة وفي ذلك صلاح للمجتمع كله.

الثالث: استبدال الخلق الذميم بالخلق الحميد، كاستبدال الكذب بالصدق، واستبدال الفسوق والفجور والدعارة بالعفة والطهارة والنقاء.

٣ - من الوسائل العلمية والعملية لاكتساب الأخلاق الحميدة:

أ - العلم بأنواع الأخلاق الحميدة التي أُمرنا بها والأخلاق الرديئة التي نُهينا عنها.

---

(١) انصح بالرجوع إلى هذا الفصل القيم فإن فيه فوائد تربوية عظيمة النفع.

ب ـ معرفة عظم حاجتنا إلى الخلق الحسن لأنه متصل بالإيمان وتقوى الله وسبب للظفر برضوان الله ودخول الجنان. وضرر الخلق السيء وإنه من علامات النفاق وأمارة من أمارات ضعف الإيمان وسبب سخط الله وعقابه.

ت ـ الاستحقار الدائم لأنواع الأخلاق السيئة وعواقبها الوخيمة وعدم النسيان الذي هو آفة العلم **﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾** ـ طه ١٥ ـ.

ث ـ الاهتمام بتقوية معاني العقيدة الإسلامية، كما بيناه في موضعه.

جـ ـ مباشرة الأعمال الطيبة التي تؤدي إلى تقويم الأخلاق وتسهل على النفس قبول الأخلاق الزكية وطرد الخبيثة منها، وهذه كالمريض الذي يقدم له الدواء بالوصفة الطبية، فهو باق على مرضه طالما لم يباشر عملية شراء الدواء واستعماله مما يمهد له الشفاء بإذن الله، ومن ذلك القيام بالعبادات والنوافل كما بيناها في موضعها.

ح ـ القيام بالأعمال المضادة للأخلاق التي يراد التخلص منها، بما يسمى بمسلك «التضادد» أو «المراغمة للشيطان» حتى يخنس فإذا خنس أمكن لهذا العمل أن يزعزع كيان هذا الخلق الرديء، كعلاج الحسد مثلا بأن يبادر الحاسد إلى الاستغفار والدعاء بالخير للمحسود فإنه بذلك سيشعره بزوال الحسد من قلبه، وكمعالجة الكِبر بالجلوس مع الفقراء والمساكين.

خ ـ مسلك التكلف، بأن يتكلف المسلم الخلق الحميد الذي يريد أن يتربى عليه، وهذا يستلزم الصبر، فإذا صبر وداوم انقادت له نفسه وألفت هذا الفعل حتى يصبح لذيذاً وقريباً إلى النفس.

د ـ مخالطة المؤمنين ذوي الأخلاق الحسنة.

ر ـ اتخاذ القدوة الحسنة، وخير القدوات رسولنا ﷺ **﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾** ـ الأحزاب ٢١ ـ.

ز ـ ترك البيئة الفاسدة والفرار منها كما يفر المرء من المكان الموبوء، ولا يجوز للمسلم التعرض للبيئة الفاسدة بحجة أنه متين الأخلاق لا يُخشى عليه التأثر بهم فهذا غرور ووهم لاسيما إذا كان منفرداً ضعيف الشخصية، وخير دليل على ذلك

قصة ذلك الذي قتل مائة نفس وأراد. التوبة فأرشده العالم إلى أنه من تمام توبته أن يترك القرية الفاسدة إلى القرية الصالحة[1].

س - الحرص على كل صفة جميلة واعتبارها كالجوهرة النفيسة التي يجب صونها وحفظها ، وعدم الاستهانة بأي صفة قبيحة وإن بدت بسيطة قليلة الشأن، وهذا من المبادىء الهامة في القواعد الوقائية لمنهج الاستعفاف كما سنبينها في موضعها إن شاء الله.

ش - ترويض النفس على قبول النصيحة من الصالحين، اقتداءً بالفاروق حين قال: «رحم الله امرءاً أهدى إلى عيوبي». فإن الناصح الصادق الذي يدلك على عيوبك وسوء بعض أخلاقك يستحق منك الشكر والتقدير فهو كمن يدلك على عقرب تدب على جسمك، فالأخلاق الرذيلة عقارب ولكنها تؤذي القلب والإيمان وتفرغ فيهما سمومها.

القاعدة الثالثة: التربية الفكرية:

يقول الأستاذ فتحي يكن في كتاب «الإسلام والجنس» (وتهدف التربية الفكرية في الإسلام إلى تركيز مفاهيم الإسلام وأحكامه لدى الناس لتجري تصرفاتهم على أساسها بحيث يصبح الإسلام عندهم مقياس كل قضية وفعل كل خطاب وحل كل مشكلة وزمام كل أمر ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ - النساء ٦٥ -.

إنه الاسلام منهج حياة... وأن استقامة حياة الإنسان هي في اتباع هذا المنهج والصدور عنه في كافة الشئون والأحوال ولذلك كانت معرفة هذا المنهج وحسن تدبره واستيعابه شرط الاتباع وأساسه، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**» - متفق عليه -.

إن سلوك الإنسان مرتبط بوعي صادر عن تصوراته في معظم الأحيان ولهذا فإن

---

(١) قصة الحديث في صحيح مسلم.

من شأن التربية الفكرية أن تمنح الإنسان القدرة على التمييز بين الغث والسمين وبين الصالح والطالح وبين الخير والشر وبين الحلال والحرام.

كما أن من شأنها أن تهيء عقله ليكون الطاقة الواعية التي تدفعه إلى الخير تعرفه به وتلزمه باتباعه.

وعندما تتهيأ للإنسان القدرة على المعرفة والتمييز يغدو قادراً على توجيه خطاه والسير في الطريق السوي وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾

لذلك وجب على المسلم أن يتفقه في دين الله في قراءته الإسلامية وحضور مجالس العلم وسؤال العلماء، فلا يترك شيئاً من أمور حياته خصوصاً فيما يخص هذا الموضوع دون علم ومعرفة.

ومما يعين على ذلك:

١ ـ استشعار المسلم لفضل العلم والتعلم وشرف طالب العلم في الدنيا والآخرة وأنه موعود بالجنة واستغفار الملائكة وحتى الحيتان في البحر. قال ﷺ: «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير**» ـ [1].

٢ ـ ملازمة الشباب المسلم فإن في هذه الملازمة تحريك للهمة وتشويق لحضور مجالس العلم والمحاضرات والندوات. **قال عيسى عليه السلام «جالسوا من تذكركم بالله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله».**

٣ ـ تحديد برنامج للقراءة الإسلامية وللمسلم أن يستعين بإخوانه ممن لهم باع في معرفة الكتب الإسلامية وقواعد طلب العلم بل وأرى ضرورة ذلك لأن العلم بمثابة السلم لا يصل المسلم إلى أعلاه إلا بعد الصعود من أوله ولابد ممن يدل على أول السلم، كما أن معرفة الكتب قضية هامة قبل القراءة فإن عنوان الكتاب فقط لا يكفي لمعرفة محتواه.

٤ ـ تكوين مكتبة إسلامية، ولا بأس أن يُبدأ ببعض الكتب الصغيرة فالعبرة بالانتفاع بالكتب لا بكثرتها.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ١٨٣٤.

● **ومن ثمرات التربية الفكرية في منهج الاستعفاف:**

١ ـ غرس المفاهيم والموازين الشرعية ذات العلاقة بالاستعفاف، وعلى سبيل المثال:

ـ «حرمة مقدمات الفاحشة كحرمة الفاحشة ذاتها»

ـ «إنما جعل الاستئذان للنظر»

ـ «لا تخرج المرأة إلا بإذن زوجها».

٢ ـ العلم بالأحكام الشرعية المتعلقة بالجانب الأخلاقي في المجتمع المسلم، وذلك للعمل بها على هدى وبصيرة ومنها:

ـ الأحكام المتعلقة بالمرأة كالحجاب والستر والقرار في البيت وأحكام الزينة.

ـ الأحكام المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية كآداب الاستئذان وحدود العورة.

ـ الأحكام المتعلقة بالشاب والفتاة لدى البلوغ.

ـ الأحكام المتعلقة بالعقوبات الشرعية لانحراف الغريزة الجنسية كحد الزنا واللواط.

٣ ـ التعرف على بواعث وأسباب الانحراف الخلقي وآثار ذلك الانحراف على الفرد والمجتمع.

٤ ـ التعرف على وسائل الاصلاح الذاتي والاجتماعي ومنهج التربية الإسلامية ووسائل الاستعفاف.

٥ ـ إدراك دور المفسدين وأعداء الإسلام في إفساد المجتمع المسلم ومعرفة مكائدهم وخططهم في هذا المجال.

الفصل الرابع: القواعد الوقائية

القاعدة الأولى: اتخاذ الاسلام منهاج حياة

القاعدة الثانية: الزواج

القاعدة الثالثة: المجاهدة وتقوية الارادة

القاعدة الرابعة: غض البصر

القاعدة الخامسة: قطع الخواطر الرديئة

القاعدة السادسة: تجنب المثيرات الجنسية

القاعدة السابعة: الصحبة الصالحة

القاعدة الثامنة: ملء الفراغ بما ينفع

القاعدة التاسعة: حجاب المرأة وسترها

القاعدة العاشرة: قيام الأسرة بدورها.

القواعد الوقائية:

هي التي تقي الإنسان من الوقوع في حبائل شهوته، وتسد أبواب الشهوة قبل دخولها وكما قيل، «درهم وقاية خير من قنطار علاج». ولعل في الحديث الصحيح الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**ومن يستعفف يعفه الله**» ـ رواه البخاري ـ ما نستلهم منه طبيعة هذا المنهج، منهج الاستعفاف، وإن كان المقصود من الحديث كما ذكر الإمام ابن حجر في «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» أن المقصود بأن من يكف عن السؤال والطلب من الناس يغنيه الله من فضله، ولكن لنا من حكمته وفوائده معنىً للاستعفاف وأنه منهج عملي بقوله ﷺ «يستعفف» فهو منهج يحتاج إلى ممارسة وتطبيق، وإن كان الاستعفاف عن أموال الناس مطلوب فإن الاستعفاف عن أعراضهم أولى وأعظم، من هنا نقول أن من يستعفف ويتخذ من الاستعفاف منهجاً عملياً سيجد من الله العون والتسديد على الاستعفاف وسيعفه الله، فطبيعة منهج الاستعفاف أنه منهج عملي من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه مكتسب، أي أنه بإمكان المسلم أن يكتسب العفة ويكون عفيفاً إذا سلك منهج الاستعفاف.

وهذه هي القواعد الوقائية لمنهج الاستعفاف:

القاعدة الأولى: اتخاذ الاسلام منهاج حياة:

فالحقيقة البينة والثابتة شرعاً وتاريخاً وواقعاً أن هذه الأمة ما إن تبتعد عن شريعة الله قيد شعرة إلا تكالبت عليها المصائب والأزمات من خارجها ومن داخلها. كيف لا والله ربنا تبارك وتعالى قد أنذر وتوعد في القرآن الكريم للأمة المعرضة عن دينه. فقال جل وعلا محذراً: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ**﴾ ـ طه ١٢٤ ـ. ضنكاً في أمنها.. وضنكا في اقتصادها.. وضنكا في أخلاق رجالها ونسائها، وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ**

أنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ ـ النساء ٦٠ ـ.

* لذلك فإن الحياة السعيدة والحل الناجع لجميع مشاكل المجتمع هو في «الحل الإسلامي» ومعنى «الحل الإسلامي» أن يكون الإسلام هو الموجّه والقائد للمجتمع في كل الميادين وكل المجالات المادية والمعنوية، ومعنى الحل الإسلامي أن تكون عقيدة المجتمع الاسلامي ومفاهيمه وأفكاره إسلامية ومشاعره ونزعاته إسلامية وأخلاقه وتربيته إسلامية وتقاليده إسلامية، وأخيراً أن تكون قوانينه وتشريعاته إسلامية»[1].

* ومن ثمرات هذا الحل الإسلامي:

- أن تنال المرأة مكانتها الطبيعية، ولا تصبح أداة إفساد للمجتمع كما يراد لها الآن.
- أن يصبح الإعلام بكافة أجهزته منارات للخير والتوعية لا أن تكون وسائله منابر إثارة وتهييج للغرائز.
- أن تصبح مناهج التعليم مناهجاً تربوية تخرّج للمجتمع جيلاً متيناً محصناً بالأخلاق والعلم.
- أن تخنس أصوات المفسدين وتبور تجارة الغرائز والشهوات ويعلو صوت المصلحين وأصحاب الحق ودعاته.
- أن تصبح الأسرة بجميع أفرادها لبنات قوية صلبة في بناء المجتمع.
- أن يكون كل فرد في المجتمع أميناً على مجتمعه، يسعى لمصالحه، حارساً لأمنه، غيوراً على سمعته.
- أن تكون العقوبة فيه رادعة ومانعة لمن باع ضميره وانحطت كرامته، فيكون الأصل في المجتمع هو الأمن والأمان وما شاعت الجرائم وما تجرأ المجرمون إلا لأنهم لم يجدوا في قوانين الجزاء الوضعية رادعاً ولا زاجراً بل إنهم ليعرفون الطرق الملتوية للالتفاف حول تلك القوانين، لذا فقد صرح مسئول بوزارة الداخلية في إحدى دول الخليج العربية أن توقيع عقوبة الاعدام على مهربي المخدرات ساعد على خفض معدل الجريمة بنسبة ١٢٪، وقد تم اعدام سبعة أشخاص بموجب تلك القوانين خلال عام واحد.

---

(١) الحل الاسلامي. د. يوسف القرضاوي

القاعدة الثانية: الزواج:

وهـو الـطريق الفطري الذي يحقق للطاقة الغريزية هدفها الإنساني فضلا عن تحقيقه للانس والاستقرار والراحة والمتعة الحلال، لذلك فإن الإسلام ينبري للحث على الزواج وتسهيله وتيسير أسبابه، وإلى أن تتهيأ للشاب فرصة الزواج وأسبابه فإن الإسلام يدعوهم إلى الاستعفاف وهو علاج مقبول وطبيعي. كما قال المصطفى عليه الصلاة والسلام:ـ

«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصنُ[1] **للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»** ـ متفق عليه ـ وقال ﷺ: **«إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه، فليتق الله في النصف الباقي»** ـ رواه البيهقي ـ[2]

وقال ﷺ: **«ثلاث حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف»** ـ رواه الترمذي[3] ـ وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألونه عن عبادة النبي فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم:

أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبدا، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء الرسول ﷺ، **فقال: «أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا؟.. أما والله أني لأخشاكم لله، وأتقاكم له. لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**.[4]

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم والنسائي قال رسول الله ﷺ: «الدنيا متاع، وخيرُ متاعها: المرأة الصالحة» فهذا هو آمن الطرق، فمن استطاع الباءة فلا يتردد في الزواج فإنه أغضُ للبصر، وأحصنُ للفرج.

● **حكمه**: وقد ذهب بعض العلماء إلى أن النكاح واجب على الجميع لورود الأمر به في

---

(١) أغض: أي أشد غضا، وأحصن: أي أشد احصانا له ومنعا من الوقوع في الفاحشة (فتح الباري ج ٩/١٠٩).

(٢) صحيح الجامع الصغير ٦٠٢٤.

(٣) صحيح الجامع الصغير ٣٠٤٥.

(٤) أخرجه البخاري.

الكتاب والسنة ويستدلون على هذا بقولهم «إن التحرز من الزنا فرض لا يتوصل إليه إلا بالنكاح، وما لا يتوصل إلى الفرض إلا به يكون فرضاً»[1].

● **الزواج المبكر**: «في نداء الرسول ﷺ - في الحديث «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج. . .**» إشارة الى التبكير في الزواج، قال الامام ابن حجر «خص الشباب بالخطاب لأن الغالب وجود قوة داعية فيهم الى النكاح بخلاف الشيوخ وإن كان المعنى معتبرا اذا وجد السبب في الكهول والشيوخ أيضا»[2].

يقول الدكتور فريدرك كير: كان البشر في الماضي يتزوجون باكرا وكان ذلك حلا صحيحا للمشكلة الجنسية أما اليوم فقد أخذ سن الزواج يتأخر كما أن هناك أشخاصا لا يتوانون عن تبديل خواتم الخطبة مراراً عديدة فالحكومات التي ستنجح في سن القوانين التي تسهل الزواج الباكر ستكون جديرة بالتقدير لأنها تكتشف بذلك أعظم حل لمشكلة الجنس في عصرنا هذا»[3].

وهذا هو دور الحكومات في أن تسهل الزواج المبكر لشبابها بالمعونات المالية وإزالة العقبات والصعوبات المادية وإيجاد المؤسسات الاجتماعية التي تساعد الشباب على ذلك الأمر بالتوعية والحث وإزالة النظرات السلبية للزواج، كما هو دور أولياء الأمور بالمبادرة والمسارعة في تزويج أبنائهم، روى الامام البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه فإذا بلغ فليزوجه، فإن بلغ ولم يزوجه فأصاب إثما فإن إثمه على أبيه**».

كما أنه على الشاب نفسه أن لا يضع العقبات أمامه تجاه زواجه كالدراسة والاستعداد النفسي والشروط العديدة في الزوجة وجمع المال وغيرها من الأمور وقد قال تبارك وتعالى: ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ - النور ٣٢ -

والأيامى هم من لا أزواج لهم من رجال أو نساء. قال القاضي أبو السعود في تفسير

---

(١) التدابير الواقية من الزنا.

(٢) فتح الباري. ابن حجر.

(٣) الإسلام والجنس، فتحي يكنى

الآية: «إزاحة ما يكون وازعاً عن النكاح من فقر أحد الجانبين بأن لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فإن في وعد الله عز وجل غنية عن المال فإنه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب».

ومن ثمرات الزواج المبكر:

١ - ضمان العفة النفسية والجسدية والوقاية من الانزلاق في الشهوات.

٢ - الاستقرار النفسي والعقلي للشاب مما يدفعه للبناء والانتاج والعطاء بصورة أثقل.

٣ - توثيق الروابط الاجتماعية وتحصين البيوت والأسر.

٤ - السعادة في الحياة الزوجية حيث يمهد الزواج المبكر فرصة للتفاهم بين الزوجين ومواءمة طباعهما لبعضهما البعض.

٥ - مجال لمباشرة تربية الأبناء وذلك لقرب الأجيال بعضها لبعض كما يكون الأب في أوج نشاطه وشبابه وعطائه التربوي لأبنائه.

القاعدة الثالثة: المجاهدة وتقوية الارادة:

فالنفس مجبولة على حب الهوى[1] فإن تركت هملا من غير محاسبة ولا مجاهدة ولا مخالفة لهواها فسدت، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ - الشمس ٧/ ١٠ -.

خاب من دساها: دسسها أي أخملها حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل[2].

قال الحسن: وإنما يثقل الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور في الدنيا اتخذوها على غير محاسبة فوجدوا الله عز وجل قد أحصى عليهم مثاقيل الذر ثم قرأ ﴿ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ - الكهف ٤٩ -.

وعن الحسن في وصية لقمان لابنه: يا بني إن الإيمان قائد والعمل سائق والنفس حرون، فإن فتر سائقها ضلت عن الطريق، وإن فتر قائدها حرنت، فإذا اجتمعا استقامت. إن النفس إذا أُطمعت طمعت، وإذا فوّضت إليها أساءت، وإذا حملتها على أمر الله حملت، وإذا تركت الأمر إليها فسدت فاحذر نفسك واتهمها على دينك وأنزلها

---

(١) ذم الهوى لابن الجوزي.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير.

منزلة من لا حاجة له منها ولابد **له منها**، وإن الحكيم يذل نفسه بالمكاره حتى تعترف بالحق، وإن الأحمق يخير نفسه في الأخلاق، فما أحبت منها أحب وما كرهت منها كره»[1].

والمجاهدة من سبل تقوية الإرادة، (والمفروض في الارادة في الإنسان السوي **أن** تأتيها الأحكام والتعليمات والتوجيهات والقوانين من الفكر، وأن تقوم هي بدور سلطة الآمر التنفيذي وعلى مقدار استقامة الإنسان في سلوكه نستطيع قياس مقدار قوة إرادته، وعلى مقدار انحرافه في سلوكه وتخبطه مع أهوائه وشهواته ونزواته وغرائزه نستطيع قياس مقدار ضعف إرادته. لأن أهواءه وشهواته وغرائزه هي التي ركبت إرادته وجعلت تسوقها إلى تحقيق مطالبها مسخرة كل طاقاته ومنفقة كل أوقاته في ذلك)[2].

● وسائل تقوية الارادة:

الوسيلة الأولى: التفكر في أن الإنسان لم يخلق للهوى وإنما خلق للعبادة والعطاء والنظر في العواقب أما انغماسه في الهوى فإنه من طبائع البهائم، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ - الأعراف ٧٦ -.

الوسيلة الثانية: أن يفكر في عواقب الهوى فكم قد أفات من فضيلة وكم قد أوقع في رذيلة وكم من زلة أوجبت انكسار جاهٍ وقبح ذكر مع إثم..

الوسيلة الثالثة: أن يتصور العاقل انقضاء غرضه من هواه ثم يتصور الأذى الحاصل عقيب اللذة فإنه يراه ليربى على الهوى أضعافا، وقد أنشد بعض الحكماء:

وأفضل الناس من لم يرتكب سببا حتى يميز ما تجني عواقبه

الوسيلة الرابعة: أن يتصور ذلك في حق غيره ثم يتلمح عاقبته بفكره، فإنه سيرى العيب واضحا بيّنا، فالإنسان بطبيعته يرى عيوب الآخرين ولا يرى عيبه.

---

(١) ذم الهوى. ابن الجوزي.

(٢) الأخلاق الاسلامية وأسسها.

(١) للاستزادة حول هذا الموضوع يرجع إلى كتاب: «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» الباب التاسع والعشرون.

الوسيلة الخامسة: أن يفكر في معايب ذلك الهوى وسوءاته فسينفره ذلك منه، قال ابن مسعود رضي الله عنه «إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مناتنها».

الوسيلة السادسة: أن يتدبر عزّ الغلبة وذلّ القهر فإنه ما من أحد غلب هوّاه إلا أحس بقوة عز وما من أحد غلبه هواه إلا وجد في نفسه ذل وقهر، وفي قهر الهوى لذة تفوق كل لذة.

الوسيلة السابعة[1]: أن يتفكر في فائدة مخالفة الهوى، من اكتساب الذكر الجميل في الدنيا وسلامة النفس والعرض، والأجر في الآخرة ثم يعكس، فيتفكر لو وافق هواه في حصول عكس ذلك..؟!

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ - النازعات ٣٩/٤٠ -

قال مقاتل: هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها.

الوسيلة الثامنة: أن يعلم أن السعي المشكور عند الله لا يتحقق إلا بإرادة صادقة للآخرة قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ - الاسراء ١٩ - وإن من علامة صدق الارادة السعي بإيمان وإخلاص.

الوسيلة التاسعة: أن يتذكر أن الارادة والمجاهدة مطلوبة لفترات حدة الشهوة حتى تنقضي، فصبر ساعة يقي شر العمر كله، وإنه بهذه المجاهدة يُهدى إلى السبيل الأقوم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

الوسيلة العاشرة: الممارسة العملية للعبادات والأعمال الصالحة فتأدية الصلاة بانتظام والتزام الجماعات ونوافل الصيام وسائر العبادات هو مما تقوى به الارادة وتزيد به صلابتها.

الوسيلة الحادية عشرة: صرف طاقة الهوى والحب إلى مواطنها الشرعية، واستبدال الحب المحرم للنساء وسائر الموبقات الخلقية إلى حب الله ورسوله، وحب الصحابة والتابعين والصالحين، وحب الوالدين والأبناء وحب الزوجة، وحب الأماكن المقدسة كالبيت

---

(١) هذه الوسائل من كتاب «ذم الهوى لابن الجوزي» بشيء من الاختصار.

الحرام وسائر المساجد، وحب الأعمال الصالحة، وكذلك إذا عرض للشاب شيئا من فتنة العشق فليتذكر أن هذا الهوى البائد قد يحرمه من الحب الخالد للحور العين في الجنة، فليتذكر الشاب المؤمن أن له محبوبته التي خلقت من أجله والتي جمالها يفوق كل جمال. وحسنها يفوق كل حسن. . وهن «القاصرات الطرف» المخلصات الوفيات لأزواجهن وهن «العُرب» المتحببات لأزواجهن والمتشوقات للقياهم وهن «الأبكار» دوما لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان.

فأي عاقل. . يفرط لنزوة لحظات طائشة في هذا النعيم الخالد. . واللذة الدائمة. . ؟!

قال الامام ابن تيمية في هذا المعنى: «فإذا كان المؤمن قد حبب الله إليه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان حتى يعوض عن شهوات الغي بحب الله ورسوله، وما يتبع ذلك، وعن الشهوات والشبهات بالنور والهدى، وأعطاه الله من القوة والقدرة ما أيده به، حيث دفع بالعلم الجهل، وبإرادة الحسنات إرادة السيئات وبالقوة على الخير القوة على الشر في نفسه فقط»[1].

الوسيلة الثانية عشرة: التدريب والممارسة العملية على مقاومة أهواء النفس ومخالفة شهواتها بين الفينة والأخرى وفق منهج اسلامي تربوي. وهذا مثال لمعالجة مؤمن لنفسه كيف يعظها ويعاتبها ويداويها من كتاب «التوبة» للمحاسبي:

«فلما تبين له ذلك وعرف أن في طاعتها[2] عطبه في يوم معاده، وأن في عصيانها نجاته في آخرته وأنها قد اعتادت سلوك طريق هلكته، . .

فألزم قلبه العزم على تأديبها والمواظبة على توقيفها والإلحاح على معاتبتها والدوام على موعظتها وتذكيرها ربها وترداد ذكر عظيم خطرها، وأنها لابد لها من المصير إلى مولاها، . . فلم تمكنه من معاتبتها وأعرضت عما يقرعها به ويذكرها. .

* عزل النفس عن مواطن المعصية:

فكان أول ما بدأها من الأدب لتفهم وتعقل ما ألقى إليها: [3] أن ألزمها الصمت

(١) تفسير سورة النور. ابن تيمية.

(٢) يقصد بها نفسه الأمارة بالسوء.

(٣) هنا يبدو أثر الخلوة على النفس وأهميتها في صلاحها.

وحال بينها وبين من يشغلها بحديثه فلما لم تجد من تحادثه صمتت فلما طال بها الصمت سكتت، فلما طال بها السكوت تبين لها كثير مما كانت تخوض فيه من الخطأ والزلل وانكسرت لما علمت أنها كانت خائضة في الباطل متعرضة لسخط مولاها.

*** ادمان معاتبتها وتخويفها:**

ثم ابتدأ في معاتبتها وتقريرها بالسوء الذي صنعت وبما هي إليه صائرة عن قليل.. فلم يزل يلح عليها حتى لانت واعترفت بذنوبها وأقرت بسوء صنعها ودوام غفلتها عن نجاتها.

فأوجع ذلك ضميرها فسالت دمعتها واستغفرت الله من سوء ما تقدم من صنيعها ثم أخبرها أنه لا أمان عندها أن يكون ربها قد غضب عليها لما أسلفت من معاصيها فكيف تقيم عليها بعد ذلك..؟!

فأذعنت...

*** النفس تأبى مفارقة الشهوات:**

فطُهر قلبه من الاصرار وأشرق واستنار وعاود النظر، وردد الفكر، وألحَّ بالفكر في الأسباب التي كانت النفس تنال بها معاصيها من الأصحاب.. ومن الأهل.. ومن القرابة والخلطاء الذين كانوا يعاونوها على الشهوات فدعاها إلى قطع جميع ذلك ومباينته وأخبرها أنها لا تصلح توبتها ولا تتوب إلى خالقها إلا بهجران ذلك كله، فنفرت.. والتوت عليه وأبت..!!

*** علاجها بالصوم والتذكير:**

فكسرها بإدمان الصوم، فانكسرت قوى طبعها التي نالتها من الاغتذاء بالطعام.. فلما إلحَّ عليها بالجوع ذلت وخشعت.. فذكرها عذاب الله وسوء المصير لمن أعرض عنه وتعرض لمقته فلانت له قليلاً وسوَّفته ووعدته الترك لذلك عن قليل لتقضي بعض حوائجها.. فحمل عليها بالوعيد، وألحَّ بالزجر والتذكير وعظم عندها الرب عز وجل وكرر عليها شدة نقمته وعظيم عقوبته.

*** الحنين إلى بعض الشهوات دون بعض:**

فأذعنت وطاوعت إلى إجابته إلى قطع تلك الأسباب وأبت أن تقطع باقي أسباب

معاصيها فأمسك عنها وهو مغموم بعصيانها فنوى أنها متى أرادت أن تتعرض للأسباب التي أبت أن تقطع أن يحجزها عنها.

فلما قطعت بعض أسبابها واستبدلت بها أضدادها: من صاحب مرشد بدلاً من الصاحب المغوي، ومن تيقظ وتذكر بعد سهو وغفلة، ومن تثبت وفكرة بعد طيش وعجلة والإدمان على مناجاة الرب جل ذكره بحلاوة تلاوة كتابه، والنظر في العلم من آثار نبيه ﷺ وآداب الصالحين واستبدل بعد كثرة الكلام صمتا، وبكثرة اللحظ[1] إلى مالا يحبه مولاه غضا[2]، وبادر إلى ترك الكثير من شهواته التي تباعده عن ربه.. فلما بلغ هذا اجتمعت أنوار ذلك في قلبه.. فلما استشعر في قلبه ما وهبه الله سبحانه من نور طاعته والسرور بما هم به حيّ قلبه وقوي عزمه وقهرت أنوار الطاعة هواه.

القاعدة الرابعة: غض البصر:

فإن أكثر ما تدخل المعاصي على العبد منه هو نظراته ولحظاته والنظرة هي رائدة الشهوة ورسولها، ومن أطلق بصره أورد نفسه موارد الهلكات، فغض البصر أصل حفظ الفرج. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ - ٣٠ النور - وإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته.

ومن آفات النظر أنه يورث الحسرات والزفرات فيرى العبد ما ليس قادرا عليه، وهذا أعظم عذاب، وإنها تجرح القلب جرحاً لا يشفى منه إلا بالعظة والتوبة. وصدق رسول الله ﷺ حيث شبهه بالسهم القتّال: «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غض بصره عن محاسن امرأة لله، أورث الله قلبه حلاوة إلى يوم يلقاه**»[3] فهي إن لم تقتل القلب جرحته.

وروى الشيخان: «عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، فهو مدرك لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما**

---

(١) اللحظ: النظر وتعود النظر إلى المحرمات.

(٢) غضا: غض البصر.

(٣) أخرجه الحاكم (٤/٣١٤) من طريق اسحاق بن عبدالواحد القرشي ثنا هشيم عن عبدالرحمن بن اسحاق عن محارب بن دثار عن صلة بن زفر عن حذيفة به مرفوعا وقال: صحيح الاسناد. ورده الذهبي بقوله: «اسحاق واه وعبدالرحمن هو الواسطي ضعفوه» فالاسناد ضعيف.

الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»[1].

يقول ابن القيم تعليقا على هذا الحديث «فبدأ ﷺ بزنا العين لأنه أصل زنى اليد والرجل والقلب والفرج»[2] فمن أطلق بصره فلا يأمن أن يصدق ذلك فرجه فيهلك وكما قال الشاعر:

كل الحوادث مبدأها النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرةٍ فعلتْ بصاحبها فعلَ السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغير موقوف على خطر
يسد مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

ومن هنا جاء تحذير الاسلام ترهيبا من هذا الباب من أبواب الشر فقال جل وعلا ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ - النور ٣٠/٣١ - وقال ﷺ: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى، وليست لك الاخرة» - رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم - فالسيئات تتوالى على صحيفة الإنسان بعد النظرة الأولى، وروى أحمد وابن حبان في صحيحيهما والحاكم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اضمنوا لي ستا من أنفسكم، أضمن لكم الجنة، أصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم»[3] وروى مسلم والترمذي عن جرير، قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة، فقال: «اصرف نظرك»، * وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ - غافر١٩ -

قال: الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة، فيريهم أنه يغض بصره عنها فإن رأى منهم غفلة نظر إليها، فإن خاف أن يفطنوا إليه غض بصره، وقد أطلع الله عز وجل من قلبه

---

(١) رواه مسلم.

(٢) روضة المحبين.

(٣) صحيح الجامع الصغير ١٠٢٩.

أنه يودّ أنه نظر الى عورتها[1] .

من هنا وجب على من يريد أن يسد الباب من أوله أن يغض بصره ويصبر على ذلك فالصبر على الشهوة أهون من الصبر على عذاب الله فمن لم يصبر عن شهوته فكيف سيصبر على عذاب الله؟!

وفي غض البصر عدة منافع ذكرها ابن القيم في كتابه الشافي «الجواب الكافي» حيث يقول:

الأولى: أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده.

الثانية: أنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم ـ الذي قد يكون فيه هلاكه ـ إلى قلبه.

الثالثة: أنه يورث القلب أنسا بالله، وجمعيه عليه فإن إطلاق البصر يغرق القلب ويشتته ويبعده من الله ويورث الوحشة بين العبد وربه.

الرابعة: أنه يقوي القلب ويفرحه، كما أن إطلاق البصر يضعفه ويحزنه.

الخامسة: أنه يلبس القلب نوراً كما أن إطلاقه يلبسه ظلمه، ولهذا ذكر الله سبحانه وتعالى آية النور عقب أمره بغض البصر، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ ثم قال أثر ذلك: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة﴾ أي مثل نوره في قلب عبده المؤمن الذي امتثل أوامره واجتنب نواهيه وإذا استنار القلب أقبلت وفود الخيرات إليه من كل ناحية.

السادسة: أنه يورث فراسة صادقة يميز بها بين الحق والباطل، وقال شجاع «من عَمّر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وعف نفسه عن الشبهات واغتذى بالحلال لم تخطىء له فراسة». فالله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله ومن ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه، فإذا غض بصره عن محارم الله عوضه الله بأن يطلق نور بصيرته عوضا عن حبسه بصره.

السابعة: أنه يورث القلب ثباتا وشجاعة وقوة، كما في الأثر: «الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله».

الثامنة: أنه يسد على الشيطان مدخله إلى القلب فإنه يدخل مع النظرة ويمثل صورة

---

(١) ذم الهوى لابن الجوزي.

المنظور له ويزينها ويجعلها صنما يعكف عليه القلب.

التاسعة: أنه يفرغ القلب للفكر في مصالحه والاشتغال بها. وإطلاق البصر ينسيه ذلك ويحول بينه وبينه فينفرط عليه أمره ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة من ذكر ربه، قال تعالى:

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ - الكهف ٢٨ -

وإطلاق النظر يوجب هذه الثلاثة أمور.

وكل ما سبق في غض البصر ينطبق على النظر للشاب الجميل الأمرد إذا كان النظر إليه بقصد الالتذاذ وكان يثير الشهوة والمسلم التقي هو الذي يحتاط دائما لدينه وخلقه ويتقي مواطن التهم، ولا بأس بالنظر إذا كان للبيع والشراء والتعليم والتطبيب[1].

القاعدة الخامسة: قطع الخواطر الرديئة:

يقول ابن القيم في الجواب الكافي: فإنها[2] مبدأ الشر أو الخير، ومن الخواطر تتولد الإرادات والعزائم، ومن راعى خطراته ملك زمام نفسه وقهر هواه، ومن غلبته خطراته فهواه ونفسه أغلب، ومن استهان بالخطرات قادته قهرا إلى الهلكات، ولا تزال الخطرات تتردد على القلب حتى تصير منى[1]. وأخس الناس همة وأوضعهم نفسا من رضي من الحقائق بالأماني الكاذبة وتحلى بها وهي لعمر الله رؤوس أموال المفلسين ومتاجر البطالين وهي قوت النفس الفارغة.. وهي أضر شيء على الإنسان ويتولد منها العجز والكسل..

وهي بذر الشيطان فإذا تمكن من بذرها سقاها الشيطان بسقية مرة بعد أخرى حتى تصير إرادات ثم يسقيها حتى تكون عزائم ثم لا يزال بها حتى تثمر الأعمال.

وهذا ما يحدث للنفس الفارغة يقضي صاحبها وقته في التخيل والتوهم وأحلام اليقظة، فتبدأ شهوته بالإثارة فتجتمع معها الارادة ثم العزيمة ثم يعزم على قضاء هذه الشهوة بما لا يرضي ربه عنه.. فأول الشر هي تلك الخطرات، ومن هنا لزم على المسلم أن يقطعها ويصرفها عن ذهنه في بدايتها قبل أن تستفحل.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام. عبدالله علوان.

(٢) عن الخواطر التي ترد على ذهن الإنسان

(١) منى: أي أماني - جمع أمنية.

ويقول ابن القيم في كتاب «طريق الهجرتين».

«ودفـع الخـواطـر أيسر من دفع الارادات والعزائم فيجد العبد نفسه عاجزا أو كالعاجز عن دفعها بعد أن صارت إرادة جازمة وهو المفرط إذ لم يدفعها وهي خاطر ضعيف».

والخـاطـر كالطائر تراه يطير أمامك فإن أهملته وتركته طار وأكمل طريقه، وإن اصـطدته وحبسته بقي معك، فالخواطر لا ريب تمر على ذهن كل إنسان، فمنهم من يتركها ويدعها تمر ومنهم من يحبسها في عقله ويصطادها ليعيش معها في خيالاته وأوهامه.

فدافع الخاطرة قبل أن تصبح فكرة فإن صارت فكرة فدافعها قبل أن تصير إرادة فإن صارت إرادة فدافعها قبل أن تصير همة فإن صارت همة فدافعها قبل أن تصبح فعلا.
ومما يعين المسلم على قطع الخواطر الخبيثة ما ذكره ابن القيم في «طريق الهجرتين»: «فإن قلت: فما الطريق إلى حفظ الخواطر؟ قلت؟ أسبابه كثيرة:

أحدهما العلم الجازم باطلاع الرب سبحانه ونظره إلى قلبه، وعلمه بتفصيل خواطرك.
الثاني حياؤك منه، **الثالث** إجلالك أن يرى مثل تلك الخواطر في بيته[1] الذي خلق لمعرفته ومحبتـه، **والرابع** خوفك من أن تسقط من عينه بتلك الخواطر، **الخامس** إيثارك له أن تسكن قلبك غير محبته، **السادس** خشيتك أن تتولد ويستعر شررها فتأكل ما في القلب من الايمان ومحبة الله، **السابع** أن تعلم أن تلك الخواطر بمنزلة الحَبّ الذي يُلقى للطائر لِيُصاد به فاعلم أن كل خاطر منها إنما هو حبة في فخ منصوب لصيدك وأنت لا تشعر، **الثامن** أن تعلم أن تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هي وخواطر الإيمان ودواعي المحبة والإنابة أصلا، بل هي ضدها من كل وجه وما اجتمعتا في قلب إلا وغلب أحدهما صاحبه وأخرجه واستوطن مكانه. **التاسع** أن يعلم أن تلك الخواطر بحر من بحور الخيال لا ساحل له فإذا دخل القلب في غمراته غرق فيه وتاه في ظلماته فيطلب الخلاص منه فلا يجد إليه سبيلا، فقلب تملكه الخواطر بعيدا عن الفلاح معذب مشغول بما لا يفيد».

وكما يقول الشافعي: «نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل» فلذلك من

---

(١) يقصد بالبيت القلب الذي خلقه الله للعبد.

الأولى أن يوجه المسلم خواطره للأمور النافعة التي يستجلب بها مصالح دنياه وآخرته ومنها:

١ التفكّر في آيات الله المنزلة وتفهمها ولذلك أنزلها الله.

٢ ـ التفكّر في آياته المشهودة في الكون.

٣ ـ التفكر في آلاء الله وإحسانه ونعمه الكثيرة على جميع مخلوقاته.

* وهذه الثلاثة تثمر في القلب معرفة الله ومحبته وخوفه ورجاءه.

٤ ـ التفكّر في عيوب النفس وآفاتها وطريق إصلاحها.

٥ ـ التفكّر فيما بينه وبين ربه من طاعات وآداب.

٦ ـ التفكّر في الوقت وفي كيفية الانتفاع به.

٧ ـ التفكّر في تصريف أموره الدنيوية فيما لابد منه من معاشه وكسبه وأهله.

٨ ـ التفكر في أحوال الإسلام والمسلمين.

٩ ـ التفكّر في معاملاته مع أقربائه وجيرانه واخوانه المسلمين في واجبه وحقوقهم.

وحتى يكون للأمر واقعهُ العملي ووسائله الواقعية، نوجه هذه الإرشادات الوقائية التي يمكن للأخ المسلم أن يحتمي بها وقت هجوم الخواطر على ذهنه، وعند بداية التخيلات والهواجس، وهذه الإرشادات هي:

١ ـ من الأفضل وضع بعض كتب السيرة أو القصص الإسلامية عند الفراش مثل: سلسلة «صور من حياة الصحابة»، أو «تهذيب سيرة ابن هشام»، أو «غزوات باشميل» أو «شهداء الإسلام»، أو «صور من حياة التابعين» وذلك لكي لا يخلو الشاب بنفسه مع خواطره ولكن يجد ما يشغل خواطره به من الأمور التي تنفع ولا تضر، وتهدي ولا تضل. فيتعود المسلم على ذلك.

٢ ـ النوم على طهارة وصلاة الوتر قبل النوم وترديد الأذكار والأدعية الواردة عند النوم من الأمور التي تسكب الطمأنينة والسكينة على قلب المسلم. وذلك بأن تكون آخر لحظاته هي ذكر الله.

٣ ـ ليتذكر المسلم أن النوم هو بمثابة الموت لأن فيه خروج الروح والله يمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى، ويتذكر أنه عند النوم يتنافس عليه ملك وشيطان، فيقول الملك: أختم بخير، ويقول الشيطان: أختم بشر[1]، فإذا قام المسلم ذاكرا

(١) أنظر كتاب «عالم الملائكة الأبرار» للدكتور عمر الأشقر.

لله متذكراً نعمة الحياة خائفا من سوء الخاتمة مطيعا للملك عاصيا للشيطان، نال بذلك طمأنينة النفس وأمن من نوازعها.

٤ ـ القيام بجهد بدني والتحول عن الفراش مهم جدا عندما تشتد على نفسه الخواطر الشهوانية، فينهض ويغير مكانه أولى من التقلب والتلوي على الفراش.

٥ ـ يحرص الشاب المسلم على أن يعلق بعض الملصقات التذكيرية الوعظية في داره يقرأها دائما، تذكره بالله، تحذره من الشيطان، وتيقظ الإيمان في قلبه. من ذلك: «اتق الله أن يراك حيث نهاك»، والآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ ـ ٢٠١ الأعراف ـ و «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

٦ ـ قضاء وقت الفراغ وما قبل النوم بسماع الأشرطة الإسلامية من محاضرات وندوات أو تلاوات للقرآن أو أناشيد إسلامية.

٧ ـ الإنشغال بالهواية المحببة للنفس، وشيء طيب أن يوجد الشاب لنفسه هواية يسعد بمزاولتها وينفع بها نفسه وإسلامه ويزاولها وقت فراغه.

القاعدة السادسة: تجنب المثيرات الجنسية

حيث إن الانحراف الجنسي يبدأ بمثير يثير كوامن الشهوة في النفس ولذلك فقد حرم الإسلام مقدمات الزنى كما حرم الزنى نفسه وقاعدته في ذلك «كل ما أدى إلى الحرام فهو حرام»[1] وذلك ليعيش المسلم في مجتمع طاهر لا يثير شهوته ويعينه على سلوك طريق الاستقامة والعفاف.

ولا يخفي على أحد أننا نعيش في مجتمعات ملئت بالمثيرات بل وتعددت أشكالها وتنوعت بشكل يجعل أعصاب الشباب دائما في حالة من السعار الشهواني الذي لا ينطفىء، ولا يرتوي ومن هذه المثيرات اختلاط الجنسين وما لازمه من عادات بدأت تطغي على الشباب كالنظرة البريئة والاختلاط الميسور وزمالة العمل ولذلك كثر تحذير

(١) أنظر كتاب «الحلال والحرام في الإسلام» د. يوسف القرضاوي.

الرسول ﷺ من هذه الفتنة كقوله: «**ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**»[1] وقوله: : «**رأيت شاباً وشابة فلم آمن عليهما الفتنة**».[2]

وثبت في الصحيحين: «**إياكم والدخول على النساء، قيل يا رسول الله: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت**».

ومن هنا جاء الأمر بتفريق الأولاد في المضاجع ففي الحديث: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع**».

ـ رواه أبو داود باسناد حسن ـ[3]

ومن هذه المثيرات النساء الكاسيات العاريات اللواتي يلبسن ثيابا تكشف أكثر مما تستر ومنها القصص الغرامية والمجلات الخليعة ومنها الأغاني الماجنة ومنها الصحف والملاحق التي لا تكاد تخلو من صور عارية وأخبار مثيرة للشباب ومنها برامج التلفزيون التي لا تكاد تمر ساعة من برامجه دون عرض لمشهد من مشاهد الإثارة والخلاعة، كما أشرنا في الباب الثاني.

ومنها بعض العادات العائلية كاختلاط الشباب مع قريباتهم من الفتيات في المناسبات وأثناء التزاور، ومنها الطامة الكبرى وهي إرسال الشباب في إجازة الصيف إلى البلاد الغربية أو الشرقية بحجة السياحة أو تعلم اللغة، ووالله لا خير في علم يلوث الشرف ويميع الخلق ويفسد النفس ويدمّر المروءة والفضيلة. وكم من شاب ما عرف الفساد ولا سبيله إلا أثناء السفر فعاد إلى أهله فاسدا ماجنا عربيدا وقد كان طاهرا عفيفا شريفا.

وخطورة هذه المثيرات تكمن في أنها تنتهي بالإنسان إلى سعار شهواني لا ينطفىء ولا يرتوي بل ويدفع بالشباب إلى الفعل المادي لإطفاء هذا السعار، فإذا لم يتم ذلك تعبت الأعصاب المستثارة وكان ذلك بمثابة تعذيب مستمر لها.

(فالنظرة تثير والحركة تثير والضحكة تثير والدعابة تثير والطريق المأمون هو تقليل

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٥) وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني (ص ج ص ٢٥٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود (١٩٣٥) وابن ماجه (٣٠١٠) والترمذي (٨٨٥) وقال: حسن صحيح.

(٣) صحيح الجامع الصغير ٥٧٤٤.

هذه المثيرات بحيث يبقى الميل الفطري في حدوده الطبيعية ثم يلبي تلبية طبيعية عن طريق الزواج المشروع)[1] .

وهنا تقع على الحكومة والمجتمع دور كبير في المساعدة على اعفاف، الشباب وحفظهم ومن ذلك :

١ ـ توجيه وسائل الاعلام بكافة أنواعها (التلفزيون والإذاعة والصحف) لما فيه مصلحة الأمة وبناء شبابها، ومنع كل ما من شأنه تأجيج الغرائز وإثارتها مهما تعددت المبررات والحجج، فإن شباب الأمة هم ثروتها الحقيقية ولا يعدل ذلك أي مصلحة.

٢ ـ المراقبة التامة لمحلات بيع أشرطة الفيديو وما يعرض في دور السينما، وتشديد الاجراءات والعقوبات لمن يعبث بغرائز الشباب لمصلحته المادية، وكذلك الرقابة الجمركية على ما يدخل البلاد وهذا ما أقدمت عليه بعض الدول الغربية الآن عندما أدركت خطورة هذه الأفلام، وهذا الخبر من جريدة القبس الكويتية بتاريخ ١٧/٣/١٩٨٨ «تعد وزارة الداخلية البريطانية حاليا بالاشتراك مع عدد من نواب حزب المحافظين مشروع قانون جديد لإحكام السيطرة على تجارة أفلام العنف والجنس التي أكدت دراسات وزارة الداخلية والمنظمات المعنية بالأمن الاجتماعي أنها تشكل سببا مهما وراء تزايد موجات الجريمة في المجتمع البريطاني وخاصة جرائم القتل والاغتصاب».

٣ ـ ايجاد مؤسسات الترفيه البريء الغير مختلطة والتي تتحقق من خلالها جميع أهداف الترويح دون أية مشاكل.

٤ ـ انتهاج سياسة الفصل بين الجنسين في المؤسسات التعليمية بشكل خاص والمؤسسات العامة بشكل عام، ونظن أن تجارب بعض الدول الإسلامية في هذا المقام واضحة وواقعية وترد على من يدعي بسطحية تلك الأفكار ورجعيتها، ومنها الأسواق الخاصة بالنساء والفصل في أماكن العمل في المؤسسات التجارية الإسلامية والرحلات السياحية الجماعية التي تراعى فيها الآداب الشرعية كوجود المحرم مع المرأة والتي قامت بها بعض الاتحادات الطلابية والجمعيات.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام.

٥ ـ تنشيط وتشجيع المؤسسات التربوية والاصلاحية للقيام بدور الدعوة والاصلاح وتوعية الشباب في أمور دينهم وما يصلح دنياهم وما يعينهم على اجتياز مرحلة الشباب بأمان.

أما دور الفرد: فإنه يلزم كل شاب مسلم أن يطفىء النار من أولها قبل أن يمتد لهيبها ويتجنب هذه المثيرات، ومما ينفع في ذلك عدة أمور منها:

١ ـ تجنب ارتياد الأماكن المزدحمة والتي يكثر بها النساء كالأسواق وغيرها، فلا يذهب إلا مضطرا وإن ذهب فلا يطيل بل يقضي حاجته ويعود، وعلى الفتاة أن تلتزم الحشمة والحجاب الشرعي، وتغض طرفها عن الرجال.

٢ ـ الابتعاد بصورة قاطعة عن تلك المجلات الماجنة والصحف التي لا تخلو من الصور والقصص الغرامية واستبدالها بالمجلات الإسلامية والصحف المعتدلة والمجلات العلمية.

٣ ـ تقليل المكوث أمام التلفزيون وتجنب مشاهدته أثناء عرض المشاهد المثيرة والنساء المتبرجات واستبدالها بأشرطة الفيديو الإسلامية أو البرامج العلمية والثقافية.

٤ ـ الإلتزام بآداب الاستئذان عند الدخول على الأهل والأقارب وعدم الإختلاط مع النساء منهم، وبصفة خاصة طلبة الجامعة عليهم أن يحصنوا أنفسهم بحصن منيع.

٥ ـ تجنب أماكن الفساد واللهو كالسينما والمسارح ودور الرقص والغناء. ذلك أن الغناء والمعازف من الأمور التي تثير الشهوات وتسبب انتشار الفواحش، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية «وأما الفواحش، فالغناء رقية الزنا وهو من أعظم أسباب الوقوع في الفواحش ويكون الرجل والصبي والمرأة في غاية العفة والحرية حين يحضره فتنحل نفسه وتسهل عليه الفاحشة، ويميل لها فاعلا أو مفعولا به أو كلاهما كما يحصل بين شاربي الخمر وأكثر»[١].

«ولا ريب أن كل غيور يجنب أهله سماع الغناء كما يجنبهن أسباب الريب ومن طرق أهله إلى سماع رقية الزنا فهو أعلم بالإثم الذى يستحقه»[٢].

٦ ـ منع اشاعة الفواحش: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ـ ١٩ النور ـ

(١) التدابير الواقية من الزنا. د. فضل المي.

(٢) اغاثة اللهفان جـ١.

قال القاضي أبو السعود في تفسير الآية: المراد بشيوعها شيوع خبرها. فإذا ما كثر الحديث عن الفواحش وترددت أخبارها في المجتمع دون انكار لها وردع عن مقاربتها كان ذلك داعيا لذوي النفوس الضعيفة بارتكابها لذا كان التحريم لاشاعة الأخبار الفاحشة، والتشديد في عقوبة القذف.

وفي بيان حكمة حد القذف يقول سيد قطب رحمه الله «ذلك أن أطراد سماع التهم يوحي إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب الفعلة إن جو الجماعة كله ملوث وأن الغفلة فيها شائعة، فيقدم عليها من كان يتحرج منها وتهون في حسه بشاعتها بكثرة تردادها، وشعوره بأن كثير من غيره يأتونها»[1].

ويمكن أن يتم هذا المنع لاشاعة الفواحش عن طريق:

- تشديد الرقابة على ما يُعرض وما يُسمع وما يُقرأ في وسائل الأعلام ومنع كل ما من شأنه إثارة الشهوات.
- تجنب الحديث عن الفواحش والمنكرات دون انكار لها وتقبيح صورها في نفوس السامعين.
- تجنب المجلات والصحف التي تعرض القضايا والأخبار **اللاأخلاقية بتفصيلات** مثيرة وكذلك بالنسبة للروايات والقصص التي تنتهج ذلك النهج.
- على مسؤولي الأجهزة الاعلامية أن ينتهجوا سياسة واضحة في بناء الانسان الصالح وتجنب كل ما من شأنه المساس بأخلاقه وشخصيته السوية.

القاعدة السابعة: الصحبة الصالحة:

ولعلها أخطر الوسائل وأنفعها، ذلك لأن الرفقة والصحبة لهما الأثر الواضح في سلوك الفرد، بيَّن ذلك الحديث: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»،[2] وقيل في الأشعار:

عن المـرء لا تسـل وسـل عن قرينـه فكـل قرين بالمـقـارن يقـتـدي

---

(١) في ظلال القرآن.

(٢) صحيح الجامع الصغير ٣٥٣٩.

فالاقتداء هنا يصح على الاصلاح والافساد، فإن الشاب إذا كان ضعيف الشخصية، متميع الخلق، بليد الذهن، هش العقيدة، فسرعان ما سيتأثر بصحبة الفساق وستظهر عليه أماراتهم وعاداتهم القبيحة حتى تصبح هي عاداته وملامحه وطباعه فيصعب عليه الانفكاك منها بعد ذلك. وكثيرا ما يتم ذلك أثناء السفر في العطلة الصيفية حيث الغربة والبعد عن رقابة الأهل وسهولة الحصول على المنكر ومرافقة أصحاب السوء صباحاً ومساءً وكم من أناس ذهبوا طاهرين عفيفين ورجعوا فجاراً فاسقين بل وأفسق ممن دلهم على الفسوق..!

ومن هنا تظهر أهمية وخطورة وضرورة مصاحبة الأخيار ممن طهرت أخلاقهم واستقام نهجهم وحسنت سيرتهم، أولئك الذين إن نسي أحدهم ذكروه وإن غفل وعظوه وإن أخطأ لم ييئسوه، مجالسهم تحفها الملائكة، وألسنتهم لله ذاكرة وقلوبهم بالإيمان عامرة، يزداد المرء بمجالستهم علما وبمخالطتهم طهرا وملازمتهم طمأنينة وأنسا في الدنيا والآخرة ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ ٦٧ الزخرف وقال عيسى عليه السلام: «جالسوا من تذكركم بالله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله». فوجب على الشاب العازم على سلوك طريق الاستقامة أن يبحث عن هؤلاء بحث المضل لضالته فإن وجدهم - وهم ولله الحمد لا يخلو منهم مسجد - فعليه أن لا يفرط بصحبتهم أبدا وأن يلتزمهم بكرة وعشيا، وليعلم أنهم نعمة من الله غالية فليحفظها إن أراد الكرامة في الدنيا والنجاة في الآخرة، وإنها وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء».

ومن هنا تظهر الأخوة الإسلامية كأساس من أسس الصلاح والفلاح وتبرز غايتها النبيلة التي ذكرها الأستاذ فتحي يكن بقوله: «فالأخوة في نظر الإسلام وسيلة من وسائل التعاون على الطاعات والتذكير بالله والتواصي بالحق والتواصي بالصبر»[1].

لذا فإن الأخوة الاسلامية تعتبر ركنا أساسيا من أركان العمل الاسلامي يقوى بقوته ويضعف لضعفه، وما زال الشباب المسلم تربطهم ببعضهم البعض المحبة في الله والمودة والتراحم والتعاطف والألفة، يظلهم في ذلك حديث رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى

---

(١) مشكلات الدعوة والداعية ٢٠٩.

يقـول: «**حقت محبتي للمتحـابـين في، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ وحقت محبتي للمتباذلين فيّ، المتحابون فيّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء**» ـ رواه أحمد بإسناد صحيح.[1]

ضوابط العلاقة الأخوية:

ولكن.. مع ما للأخوة من مكانة سامية وشرف رفيع فقد يسيء بعض الشباب فهمها، وقد تجنح بهم العاطفة إلى إفراط في المحبة خاصة وأن الشباب هو سن العاطفة والمشاعر والأحاسيس الجياشة، ولذا لزم أن تضبط هذه العلاقة بضوابط تحفظ لها سموها ونقاؤها ومنها:

١ ـ أن يحب المرء لا يحبه لذاته وشكله ومظهره بل إلى ما يناله منه من حظوظ أخروية[2] وبقدر ما يقربه إلى الله كحب التلميذ للمعلم لأنه يتلقى منه العلم، وكذلك يحبه بقدر طاعته وقربه من الإسلام وهذا ميزان شرعي لأوثق عرى الإيمان وهو «الحب في الله والبغض في الله». وبذلك تسمو غاية المحبة وهدفها إلى أعلى المراتب. وهذا يتطلب تجردا وإخلاصاً في نفس الشاب المسلم.

٢ ـ الأخوة الإسلامية هي العلاقة الطبيعية الفطرية التي لا تجنح جنوح (العشق) ولا تبلغ مبلغ (الوله والتيم) بل ينبغي ألَّا تصل حد ذوبان المحب بالمحبوب لأنها إن وصلت إلى هذا الحد فستفقد بدون شك ضوابط الصيانة الشرعية، وقد تخالطها ـ بقصـد أو بغير قصد ـ أحاسيس ودوافع بشرية خفية مغلفة تتساقط أغلفتها على الزمان، ويقع ما لم يكن بالحسبان. والعاقل من تدارك الأمر قبل فوات الأوان. ورحم الله امرءا عرف حدود الشرع فالتزمها وعرف حدود نفسه فوقف عندها.

٣ ـ من هنا كان على المتحابين في الله أن يتقوا الله في كل خاطرة من خواطر أنفسهم وأن يقعـدوا أخـوتهم وفق تصـور الإسـلام ومفهـومه وأن يكونوا صرحاء مع أنفسهم وليلجموا العاطفة بلجام العقل ولينيروا العقل بهدى الإسلام وإياهم والترخص في الصغائر فإنها طريقهم إلى الكبائر.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٤١٩٧.

(٢) موعظة المؤمنين ص ١٣٥.

٤ ـ إن قلوب الدعاة ينبغي أن تبقى معابد لا يعبد فيها غير الله، ويحذروا من الشرك فإن دبيبه خفي وأثره قوي. ولتكن أخوة الرسول مع أبي بكر رضي الله عنه قدوتهم ومثالهم والتي لم تمنع رسول الله ﷺ أن يقول: «**لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلاً**». ـ رواه مسلم ـ

وليذكروا قول أحد الصالحين وقد بلغ الستين من العمر قال: «وقفت على باب قلبي أربعين عاما حتى لا يدخله غير الله»[1].

القاعدة الثامنة: ملء الفراغ بما ينفع:

فالوقت هو رأس مال المرء، وما الإنسان إلا مجموع أيامه فإذا ذهب يوم أو ساعة ذهب بعضه، ولذا نبه المصلحون قديما وحديثا على ضرورة الانتفاع بالوقت وعدم تضييعه فيما لا ينفع، فهذا ابن الجوزي يقول في كتابه «صيد الخاطر» ص ٢٠١: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة في غير قربة ويقدم الأفضل فالأفضل، من القول والعمل» وظهر من السلف من كان يعد لحظاته منهم الإمام الشيخ أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي المولود سنة ٤٣١ هـ فقد كان يقول: «إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة وبصري عن مطالعة أعملت فكري في حال راحتي وأنا منطرح فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة[2].

وجاءت وصايا الإمام حسن البنا رحمه الله لتؤكد على هذا المنهج فقال: «الوقت هو الحياة». وقال في وصاياه العشر: «إقرأ أو طالع أو استمع، ولا تصرف جزءا من وقتك من غير فائدة».

كل ذلك لتأكيد قضية هامة جدا وهي أن الفراغ مهلكة للمسلم وضياع لخير كثير بل لعله باب من أبواب الشر[3]، بل هو كذلك وهذا ما يقرره علماء النفس، فيقول

---

(١) مشكلات الدعوة والداعية. فتحي يكن.

(٢) رسالة المسترشدين ص ١٤٤.

ينصح بالرجوع لكتاب «الوقت عمار أو دمار» للأستاذ جاسم المطوع.

الأستاذ محمد قطب في كتابه «منهج التربية الإسلامية»: «إن الفراغ مفسد للنفس إفساد الطاقة المختزنة بلا ضرورة وأول مفاسد الفراغ هو تبديد الطاقة الحيوية لملء الفراغ ثم التعود على العادات الضارة التي يقوم بها الإنسان لملء الفراغ» لا سيما وأن وقت الفراغ يشكل جزءاً كبيراً من حياة الشاب فقد وجد أن ٢٥٪ من العام الدراسي يمثل وقت فراغ على الشاب مع اعتبار العطلة الصيفية[1].

ويقـول الشيخ عبدالله علوان في كتابه «تربية الأولاد في الإسلام»: «إن الولد إذا اختـلى إلى نفسـه وقت فراغـه ترد عليه الأفكار الحالمة والهواجس السارحة والتخيلات الجنسية المثيرة فلا يجد نفسه - إن كان مراهقا أو شابا - إلا وقد تحركت شهوته وهاجت غريزته أمام هذه الموجة من التأملات والخواطر فعندئذ لا يجد بداً من أن يلجأ إلى هذه العادة الخبيثة ليخفف من طغيان الشهوة ويحد من سلطانها».

ولـو كان هذا الشاب مشغول الذهن والجسد في أمر نافع لما خطرت بباله تلك الأفكار والهواجس ولكنه وحش الفراغ الذي هجم عليه.

وصدق الشافعي بقوله: «نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل» إذا.. فما العلاج..؟

إن منهج الإسلام في ذلك كما يقول الأستاذ محمد قطب «إن الإسلام حين أبطل عادات الجاهلية وأعيادها ومواسمها لم يترك ذلك فراغاً يتحير المسلمون في ملئه بل أبدلهم بأعياد ومواسم أخرى تحل محلها، كانوا يجتمعون على موائد الخمر والميسر أو لسماع الشعر الضال فجمعهم على عبادة الله وصلاة الجماعة والأعياد الإسلامية».

ويقـول: (تلك من أنجـح الوسائل في تربية النفس خاصة حين تمنع النفس - لتقويمها - من شيء من رغائبها فالوسيلة الصحيحة لملء هذا الفراغ هي إيجاد نشاط جديد لهذه الرغبة ذاتها)[2].

---

(١) دراسة «الشباب ووقت الفراغ» الديوان الأميري.

(٢) منهج التربية الإسلامية ص ٢٥٤.

● **دور المجتمع في علاج مشكلة الفراغ:**

١ ـ الاهتمام بالدور التربوي للمؤسسات التعليمية بصورة أكبر كما هو واقع حاليا، حيث أصبحت أغلب المدارس مراكز للمعلومات فقط وتقلص الدور التربوي لها بصورة واضحة بل قد تظهر أحيانا آثاراً سلبية بمحاكاة الطلبة بعضهم لبعض في بعض السلوكيات المنحرفة فلابد من ممارسة عملية وجادة للدور التربوي بالتوجيه والارشاد والمتابعة الجادة للطلبة والطالبات، وقيام المعلم بدوره كمربي وقدوة.

٢ ـ إنشاء النوادي والمراكز والمتاحف العلمية والثقافية التي تستكشف مواهب الشباب وقدراتهم وتنميتها وإيجاد الأماكن المناسبة لهم لممارسة هواياتهم وشغل أوقات فراغهم.

٣ ـ قيام أجهزة الاعلام على كافة أنواعها بدور التوعية التربوية للشباب، وتوجيههم للقيام بمسؤولياتهم تجاه مجتمعهم، وإيجاد البرامج والمواد العلمية والثقافية والترفيهية التي تشغل الأوقات وتعود بالنفع عليهم، خصوصاً في بداية العطلة المدرسية، حيث تشهد العطلة مظاهر سيئة نتيجة فراغ الشباب.

● **أما دور الفرد:**

فما أكثر مجالات الخير وقضاء الوقت بما ينفع، فمن ذلك:

١ ـ التزام الصلوات الخمس بالمسجد فإن إرتياد المسجد له ثمرات عديدة أحصاها الحسن بن علي بقوله: (من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثماني خصال: آية محكمة، وأخا مستفادا، وعلما مستطرفا، ورحمة منتظرة، وكلمة تدله على هدى أو تردعه عن ردى. وترك الذنوب حياء أو خشية)[1].

٢ ـ القيام بنشاط رياضي فرديا كان أو جماعيا مع الإخوان الصالحين، والرياضة فائدتها واضحة في تصريف طاقة الشاب والمحافظة على صحته.

٣ ـ حضور الدروس والمحاضرات الإسلامية التي لا يخلو منها مسجد.

---

(١) «الرقائق» محمد أحمد الراشد.

٤ ـ مذاكرة في الكتب الإسلامية وتخصيص أوقات محددة للقراءة والبحوث مع مراعاة أوقات المذاكرة الدراسية.

٥ ـ المشاركة الدائمة للأنشطة الإسلامية المتنوعة.

٦ ـ القيام بنزهة أو رحلة بريئة مع الأخوة أو العائلة.

٧ ـ إيجاد هواية يشغل بها الشاب وقت فراغه كالنجارة والحدادة والالكترونيات وتعلم الخط وقراءة كتب الأدب وغيرها.

٨ ـ زيارة الاخوان الأقارب والأرحام والمشاركة في أبواب الخير الكثيرة.

والخلاصة ألا يبقى الشاب ساعة من نهاره أو ليله فارغاً فإما أن يشغل وقته بنفسه أو يستعين بإخوانه على ذلك.

ولا يخفى على أحد أنه ينبغي أن تكون قبل ذلك عزيمة صادقة وهمة عالية وإرادة للخير قوية ودائمة.

القاعدة التاسعة: حجاب المرأة وسترها:

كما أشرنا في الفصول السابقة عن خطورة تبرج النساء واختلاطهم بالرجال وأثر ذلك على المجتمع والأسرة والأفراد، وإجمالا فإن عدم التزام المرأة بما شرعه الله لها من آداب وحدود هو من أخطر أسباب الانحراف، لذا فإن الإسلام قد شرع للمرأة آداباً وأحكاما تضمن عفتها وسلامة مجتمعها وهذه الأحكام هي[1]:

١ ـ **القرار في البيوت**: قال تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** ﴾ ـ الأحزاب ٣٣ ـ قال ابن كثير في الآية: «إلزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة» وعند خروجها عليها أن تلتزم بالآداب التالية:

أ ـ لا تخرج إلا لحاجة: قال ﷺ: «**قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن**» ـ رواه البخاري ـ.

ب ـ لا تخرج إلا بإذن زوجها: قال ﷺ: «**ولا تخرج من بيته إلا بإذنه فإن فعلت لعنتها الملائكة ملائكة الغضب والرحمة حتى تتوب أو تراجع**» ـ رواه البيهقي ـ.

جـ ـ ولا تخرج إلا متحجبة: قال تعالى: « **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ**

(١) باختصار من كتاب التدابير الواقية من الزنا.

ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » - الأحزاب ٥٩ -.

ولولي الأمر إلزام نساء المجتمع بالحجاب وليست هذه من الحرية الشخصية كما يدعـون، يقـول ابن القيم «ويجب عليه (ولي الأمر) منع النساء من الخروج متزينات متجملات ومنعهن من الثياب التي يكن بها كاسيات عاريات كالثياب الواسعة والرقاق ومنعهن من حديث الرجال في الطرقات ومنع الرجال من ذلك».

د - لا تخرج متعطرة روى أبو داود عن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا فهي كذا وكذا**»[1].

وفي رواية عند النسائي: «فهي زانية» يقول صاحب بذل المجهود في شرح الحديث: «سماها النبي ﷺ زانية مجازا، لأنها رغبت الرجال في نفسها، فأقل ما يكون هذا سببا لرؤيتها وهو زنا العين».

هـ - لا تظهر زينتها بالصوت: قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ** » - النور ٣١ - قال أبو بكر الجصاص في تفسير الآية «وفيه دلالة على أن المرأة منهية عن رفع صوتها بالكلام بحيث يسمع ذلك الأجانب إذا كان صوتها أقرب إلى الفتنة من صوت خلخالها».

و- لا تسافر إلا مع ذي محرم: روى الإمام مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسافر المرأة ثلاثا، إلا ومعها ذي محرم**».

٢ - **عدم مخالطة الرجال**: فقد أمر النبي ﷺ النساء أن لا يختلطن بالرجال في الطرق وأن يمشين في جزء مخصوص من الطريق، فكانت المرأة تلصق بالجدار، كما خصص لهن بابا للدخول للمسجد، وفصل صفوف النساء عن صفوف الرجال والفضل لمن تباعد عن صفوف الآخرين، وكذلك في الطواف حول البيت «كانت عائشة رضي الله عنها تطوف حجرة(٢) عن الرجال لا تخالطهم» - رواه البخاري -.

وهذه الأحكام ليست اختيارية التطبيق أو أنها من القضايا الشخصية للنساء بل

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٣٢٠.

(٢) حجرة: أي ناحية ومعتزلة.

على ولي الأمر أن يلزمهن بذلك،قال ابن القيم: «إن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والفرج ومجامع الرجال».

٣ ـ **عدم الخضوع بالقول**: قال تعالى: ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ ـ الأحزاب ٣٢ ـ.

قال أبو بكر الجصاص في تفسير الآية: وفيه الدلالة على أن ذلك حكم سائر النساء في نهيهن عن إلانة القول للرجال على وجه يوجب الطمع فيهن ويستدل به على رغبتهن فيهم.

٤ ـ **عدم إبداء الزينة لغير المحارم**: قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ ـ النور ٣١ ـ.

٥ ـ **تحريم وصف المرأة المرأة عند زوجها**: لما في ذلك من إبداء زينة المرأة مشافهة وليس معاينة ولكنها قد تسبب إثارة الشهوة، قال ﷺ «**لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها**» ـ رواه البخاري ـ.

٦ ـ **غض البصر**: وكما أمر الله الرجال بغض البصر، أمر النساء كذلك لأن الشرور المرتقبة واحدة للطرفين بل قد تزيد شرور النظر من المرأة لأنها أكثر عاطفة وأشد استثارة لها وإثارة للرجال قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ـ النور ٣٠، ٣١ ـ

٧ ـ **عدم مس الرجال الأجانب**: قال ﷺ: «**لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**»(١) ـ رواه البيهقي والطبراني ـ وذكر في كتاب الهداية: «لايحل له أن يمس وجهها ولاكفيها وإن كان يأمن الشهوة». وما يحذر منه الرجال ينطبق كذلك على النساء.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٤٩٢١.

القاعدة العاشرة: قيام الأسرة بدورها:

فصلاح الفرد من صلاح الأسرة وصلاح المجتمع بأسره كذلك من صلاح الأسرة لذلك فقد عُني الإسلام بتكوين الأسرة المسلمة وإرساء قواعدها (فأرشد إلى حسن الاختيار وبنى أفضل الطرائق للارتباط وحدد الحقوق والواجبات، وأوجب على الطرفين رعاية ثمرات هذا الزواج حتى تينع وتنضج في غير عبث ولا إهمال وعالج ما يعترض الحياة الزوجية من المشكلات ،أدق علاج واختط في كل نظراته طريقاً وسطا لا تفريط فيه ولا افراط)[1].

وأصبح من واجبات الأسرة المسلمة تجاه أبنائها:

أ ـ **البناء العقدي**: بتلقينهم كلمة التوحيد وحب الله ورسوله.

ب ـ **البناء العبادي**: بتعليمهم الصلاة والصيام وتلاوة القرآن.

ج ـ **البناء الاجتماعي**: بتعليمه الآداب الاجتماعية واختيار الصحبة الصالحة لهم.

د ـ **البناء الأخلاقي**: بآداب الاستئذان والصدق والحياء.

هـ ـ **البناء الجسمي والصحي**: بتنمية أجسامهم وتأديبهم بالأدب الصحي النبوي.

و ـ **التهذيب الجنسي**: بأمرهم بغض الأبصار والاستئذان وستر العورات والتفريق في المضاجع وتعليمهم سورة «النور» وإبعادهم عن الاختلاط والمهيجات الجنسية.

وعلى المجتمع: أن ينهض بالبناء الأسري ويكفل لها جميع السبل لأداء دورها على الوجه الذي يخرج للمجتمع جيلا مؤمنا قويا.

والقيام بتوعية الأسر للقيام بدورها وتتناول الأساليب التربوية الصحية للتنشئة من التوصيات التي وردت في دراسة «الأسرة وانحراف الأحداث»:

١ ـ الاكتشاف المبكر لحالات الانحراف بين طلبة المدارس والعمل على ترشيدها وإعادة توازنها الاجتماعي بكافة الوسائل الممكنة وذلك بالتعاون بين المدرسة والأسرة وسائر المؤسسات المعنية، التربوية والترفيهية والرياضية والإعلامية وغيرها.

٢ ـ ضرورة الاستمرار في تقديم البرامج الإعلامية الهادفة التي من شأنها تبصير الصغار والكبار بصورة الانحراف والجزاءات المترتبة على الفعل المنحرف والتركيز على دور الأسرة ومسؤولية المؤسسات الاجتماعية والتربوية في إعداد النشء إعدادا سوياً.

---

(١) رسالة «دعوتنا في طور جديد» حسن البنا.

الخاتمــة

وبعـــد . . .

فإن هذه تذكرة فمن شاء ذكره . . .

ولعلنا قد هدانا الله لهذا البحث فبينا ملامح منهج الإستعفاف وطريق النجاة من مصارع الشهوات . . .

فمن وقاة الله شر نفسه فلله الحمد والمنة وليستكمل بهذه الملامح طريقه ومنهجه . ومن أصاب من ذلك شيئا فليعلم أن كل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون . فدمعة ندم . . وزفـرة حسرة . . . وصـدق في عزيمـة . . . ونصـح في توبة . . . يبدل الله بها السيئات إلى حسنات برحمته وفضله ، ولعل في هذا البحث ما يعين على سلوك طريق التوبة بمنهج عملي واضح ، يزيد التوبة صدقاً والنفوس طهراً وزكاةً . . وإنها لتوبة أفراد . . . وتوبة حكومات . . . وتوبة مجتمعات . . .

نسأل الله أن يقينا شر أنفسنا . . .

وأن يحبب إلينا الإيمان ويزينه في قلوبنا . . .

وأن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان . . .

وأن يقسم لنا من خشيته ما يحول به بيننا وبين معصيته . . .

ومن طاعته ما يبلغنا به جنته . . .

وأن ينفع بهذا الكتاب ويجزل لنا فيه الثواب . اللهم آمين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمـة المراجـع:

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ مختصر صحيح مسلم

٣ ـ رياض الصالحين

٤ ـ الجواب الكافي ـ لابن القيم

٥ـ الإسلام والجنس ـ فتحي يكن

٦ ـ مسؤولية التربية الجنسية ـ عبدالله علوان

٧ ـ ماذا يعني انتمائي للاسلام ـ فتحي يكن.

٨ ـ إغاثة اللهفان الجزء الأول ـ لابن القيم

٩ ـ الفوائد ـ لابن القيم

١٠ ـ طريق الهجرتين ـ لابن القيم

١١ ـ «فلنكن صرحاء يا دعاة الاختلاط» عائشة عبدالله

١٢ ـ رسالة المسترشدين ـ للحارث المحاسبي

١٣ ـ التوبة ـ للحارث المحاسبي.

١٤ ـ «الأسرة وانحراف الأحداث» دراسة من مجلس الوزراء.

١٥ ـ تربية الأولاد في الاسلام ـ عبدالله علوان.

١٦ ـ صيد الخاطر ـ ابن الجوزي.

١٧ ـ ذم الهوى ـ ابن الجوزي.

١٨ ـ الحجاب ـ المودودي.

١٩ ـ الخطايا في نظر الإسلام ـ عفيف عبدالفتاح طباره.

٢٠ ـ مشكلات الدعوة والداعية ـ فتحي يكن.

٢١ ـ الزنا ـ دندل جبر.

٢٢ ـ مذكرات الدعوة والداعية ـ حسن البنا.

٢٣ ـ الأمراض الجنسية ـ د. محمد علي البار.

٢٤ ـ التدابير الواقية من الزنا ـ د. فضل الهى .
٢٥ ـ التلفزيون بين الهدم والبناء ـ محمد كامل .
٢٦ ـ في انتظار الحورية . محمود النجيري .
٢٧ ـ «الشباب في الكويت» دراسات الديوان الأميري .
٢٨ ـ روضة المحبين ـ ابن القيم .
٢٩ ـ الأخلاق الاسلامية وأسسها ـ عبدالرحمن الميداني .
٣٠ ـ دراسة تحليلية لتعداد السكان في الكويت ـ الادارة المركزية للاحصاء .
٣١ ـ المرأة ماذا بعد السقوط . بدرية العزاز .
٣٢ ـ دراسة «أثر العوامل الاجتماعية وقانون الجزاء في انتشار جرائم هتك العرض في الكويت» .
٣٣ ـ التشريع الجنائي الإسلامي . عبدالقادر عودة .

فهـــرس المـواضـــيع